الإشارة والوعظ
في
العطاء والأخذ والنبذ

تأليف: هيثم مصالحة الحَسَنِي

(الطبعة الأولى)

2024\1446

الفهرست

المقدمة

اليوم وفي الماضي وغداً وفي كل زمان, هناك المرجع الذي يؤخذ منه ويعتمد عليه في سبيل تخليص وبلورة الفكرة الإسلامية والشرعية, ولكن هل هناك قيود ومقامات ودرجات لهذا الأخذ؟. فإنّنا اليوم وقد مرّ على الشريعة الغرّاء اكثر من 1400 عام, وبعدما اخذنا في البداية عن الله ورسوله والصحابة الراشدين المهديّين, وبعدما مرّت القرون الثلاثة-وقيل الأربعة- الأوَل, فقد تفشّى الكذب لإخبار النبي لنا في الحديث الصحيح, قال صلى الله عليه وسلّم: [1]"خير القرون قرني ,ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم-ومن طريق اخر ثم الذين يلونهم(ثلاثاً- ثم يفشو الكذب". وهو حديث صحيح يؤخذ به كما باقي الحديث الشريف المتأكّد منه, فهو كالقرأن, قال النبي: [2]"الا اني اوتيتُ الكتاب ومثله معه", وقال تعالى في إعطاء النبي الحكمة وقيل انها السنّة بعد الكتاب, وكذلك كان اهل الشرعات التي قبلنا يتعلّمون الحكمة بالإضافة الى الكتاب السماويّ, فكان ما كان من الوضع في شرعات من قبلنا, فقال الله تعالى في تصحيح

[1] الشوكاني-الفتح الرباني-ثابت-4\1728

[2] الايمان لابن تيمية-الالباني-صحيح-37

الوضع والامر لهؤلاء المسلمين حين لا يضعون ولا يكذبون على الله وانبيائه ورسله وحين لا يقرطسون ولا يضيفون الى الكتاب والحكمة شيء, خاصةً وقد كتبت التوراة بعد كذا من السنين والانجيل بعد 300 سنة من رفع الله لعيسى اليه صلى الله عليه وسلّم, فقال الله في كتابه الأخير والخاتم: [3]"يا اهل الكتاب لستم على شيءٍ حتى تقيموا التوراة والإنجيل", وهذا نهاية الامر والكلام قبل ان يقيموها فيصبحوا على شيء, وإنّ الذين لا يعلمون يقولون انهم ليسوا على شيء كما الايات, قال تعالى:[4]"وقالت اليهود ليست النصارى على شيء, وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب, كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم", وقال تعالى في الفصل بينهم والحكم ومن له الحق في الفصل والحكم والتقرير, فقال تعالى:[5]"فالله يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون". وانّنا اليوم في مقام التحقّق من كل شيء والتذكّر ممّا حفظنا عن ظهر قلب, فمنّا من حفظ كتاب الله, وحين سئل الشيعة لماذا لا تحفظون كتاب الله وتداومون على حفظه ولماذا ليس لكم وردٌ او حزبٌ

[3] المائدة68

[4] البقرة113

[5] البقرة113

تحفظونه في كل يوم او في كل حين؟, فقالوا ان الكتاب محفوظ والله قد حفظه, لذلك ليس هناك داعٍ ولا حاجة لحفظنا له عن ظهر قلب, وكأنّه حقٌ من كافر, ونحن نأخذ الحق ولو من يهودي او نصرانيّ ما دام صحيحاً وليس به بأسٌ او لبس, ولكن الحق لا يعرف بالرجال وانما الرجال يعرفون بالحق, كلمةٌ نقولها دائماً وابداً ما دام الحق معنا, وما دمنا نتحقّق ونداوم على السؤال عن كل ما نأخذ وننبذ ونعطي وهو طريقنا وسبيلنا, لا يؤخذ ما زيدَ عليه حرف ويرد كل ذلك ونأخذ ما قد تحقّق منه اهل التحقيق والتحقّق ونقد الرجال والاسانيد والمتن وغيره من النصوص, وما دمنا على ذلك فلا خوفٌ ولا تراجع ما دمنا لا نرى غير ما قال الله ورسوله وليس لنا نهج ومنهجٌ غير ذلك والله ولينا وهو يتولّى الصالحين. وإنّنا في كتابنا هذا قد جمعنا بين الحالات في الاخذ والنبذ وحتى العطاء, وكيف نوفّق بينها وممّن يؤخذ وما يردّ وممّن ومتى نعطي بدون الاخذ او النبذ ومتى نأخذ دون النبذ ومتى ننبذ دون الأخذ ومتى نعطي دون النبذ, الامر الذي يتيح لنا البقاء على الحق ونشره وعدم التنطّع او التخبّط في هذا النهج القويم, فهذا ما يجب على كل مسلمٍ عاقلٍ عمله, وقد اشتهر اناسٌ وقد قالوا الحديث الضعيف, وقد كان لشيخنا المحدِّث العلاّمة ابي اسحق الحويني

المصريّ موقفٌ مع شيخٍ عملاق, لكنه كان يقول ويستشهد بالحديث الضعيف وقد كان الشيخ الحويني صغيراً يافعاً, فسمع للشيخ كشك رحمه الله خطبة في يوم من أيام الجمعة, فراجع الحوينيّ الشيخ كشك فقال له في ضعف ذاك الحديث, فقال له الشيخ: يا بنيّ, تعلّم ثمّ تكلّم- انتهى كلام الشيخ-,حتى تعلّم الشيخ الحويني فصار جبلاً من الجبال, وهو حقٌ قيل ممّن يقول الأثر والحديث الضعيف ولكنه حقّ, ويؤخذ من الشيخ ما تحقِّقَ منه وكان صحيحاً, وقد اصبح الحويني من العالمين العاملين, فأصبح خاصةً بعد قطع رجله يقرأ اقل ممّا كان يقرأ قبلاً, وكان قبلاً يقرأ ال19 ساعة في اليوم امّا بعد البتر فأصبح يقرأ 15 ساعة وقد ضعف وهزل الشيخ وشاب وتراجع الشيء الضئيل ولكن رغم ذلك فقد استمر في الأخذ من الكتب ونبذ البدعة والعطاء في نفس الوقت مع التوفيق بينها حفظه الله ورحمه في الدارين.

وما نريده في كتابة الشيء المماثل في التحقّق وتخريج الاحاديث وعلم النقد في الرجال والمقال, فهو ان يبقى الخير بين أيدينا وان نصون نعمة الأي والاثر الصحيح وان نستخدمها في المحافظة وحفظ الحدود-بوصف الشيخ الحويني فقد سمّى أولئك الذين يذودون عن حدود الشريعة

بحرس الحدود وله مقطع ودروس بهذا الاسم-, وإنّنا في زماننا في زمن البدع وقول الضعيف من القول لا نحتاج الّا الى الاستمرار بنفس الوتيرة مع الزيادة وعدم النقصان في الجهد المبذول, وقد سهّل الله علينا وعوّضنا عن قلة الحفظ بالبحث عن السند او المتن او الاية الكريمة بكبسة زر, والله تعالى قد سخّر ما سمّاه بعض المشايخ بجنود الدجال لصالح الشرع والدين وحفظ الشريعة الغرّاء والمحافظة عليها, وانّ الشبكة لسلاحٌ ذو حدّين ان لم نصنها ونستخدمها لصالح الشريعة والدين لانقلبت علينا ولخسرنا الشيء الكثير من مهارات حفظ النصوص, وكما انّه هناك من يستخدما لمحق الحق ودثره ومحاولة جعل اندثاره وتراجع مجهودنا فهناك من يستخدمها في سبيل التحقيق والتخريج والحفاظ على كل ما هو متعلِّق بالخير والدعوة والجهاد ونشره. والله تعالى اعلم.

ضرورة الأخذ

وللأخذ ضرورة غير منتهية الاكتفاء حتى نلقى ربّنا. وقد شبّه الله تعالى بعثنا يوم الدين-وقد قيل من مات قامت قيامته- بالنبات, قال تعالى:[6]"والله انبتكم من الأرض نباتا", وقال سبحانه:[7]"وانبتها نباتا حسنا", ففي البعث الوصف والاتّصاف بالنبات بطلوعه من الأرض, ففي ظهر الإنسان عظمة لا تبلى حتى بعد موارات التراب والثرى, فيفنى العبد بتحوّل جسده لتراب إلّا تلك العظمة الموجودة في الظهر وهي كالبذرة التي ينبت منها العبد يوم الدين فينبت كالنبات ويخرج الى يوم الحساب في يومٍ كان مقدارة خمسين الف سنة, وقد ادّعى اهل المادة والملحدين بأنّ الدود الذي يأكل الجسد بعد الدفن هو ما يتحوّل لتراب, وهذا افتراء ما بعده افتراء ولا يظن ذلك الّا جاهل او معادٍ ومعتدٍ على ما لم يعلم وجهله, فكان الخائن لله ورسوله ونفسه منهم ممّن عادى ما جهل. وإنّ تشبيه خروج الانسان من القبر كالنبات لهو دليلٌ على ضرورة الأخذ, فالأرض البور- قال تعالى:[8]"وكانوا قوماً بورا"- لا يجنى ثمارها وتقل زكاتها, فما لم يعنَ بالعناية

---

[6] نوح17
[7] ال عمران37
[8] الفرقان18

والحماية بسقيه من ماء المطر حقّ عليه ان يتحوّل من نباتٍ خضرٍ الى هشيم تذروه الرياح بشكل اسرع, وذلك لرجوع امر الحياة والممات الى الله تعالى, وما قربتَ من الله قلّ عمرك ولقيت الله وهو راضٍ عنك بشكل اسرع وتكون اقرب ما يكون في عملية بعثك بعد الحياة والموت الى الحساب وملاقاة الله تعالى وهي سنة الحياة لا ينكرها الّا من كان مغلوبٌ على امره ولا يفقه فيما هو بعد الموت شيء, وهؤلاء تلقاهم في كل مكان, يظنون في الله الظنونا, ولا يدرون ما يصنعون وسيبلّغهم الله خسارهم ويبيّنه لهم بعد ملاقاة ملك الموت, فيسألون عن الله ورسوله فلا يجيبون وحينها تبدأ معاناتهم الغير منتهية في العذاب الشديد وفيما ليس له عتيد إلّا الصهر والحرق والصديد وتجرّع الضريع ومذاب الحديد والله المستعان. وإنّ التشبيه بالنبات لهو خير دليلٍ إن تفكّر المرء في ذلك على البعث والنشور. وإنّ الضرورة بالأخذ لهو اهم من الطعام والشراب, فما فائدة الطعام والشراب حين لا ينفع ذلك ولا يسمن ولا يغني من جوع؟, فأنت تأكل الطعام- قال تعالى:[9]"ويأكلون كما تأكل الانعام", فهؤلاء النار

[9] محمد12

مثوىً لهم وليس لهم مانعٌ من العذاب إلّا ان يرحمهم الله ويمنعه عنهم, فإن حسبناها وقدّرنا وافتحصنا امر الحياة

والموت, لعلمنا اننّا ذاهبون في رحلة والى مكان معيّن وهو الجنة او النار, واننّا حين نكون في طريقنا الى ذلك المكان نحتاج الى حافلة او سيارة او دابّة, فنحن لسنا ذاهبون الى الحافلة او السيارة وانما الى ذاك المكان الذي ينتهي الامر اليه في النهاية, وفي هذه الرحلة وما بينها نحتاج الى زادٍ, قال تعالى:[10]"وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى", وقال تعالى:[11]"واتقوا الله ويعلّمكم الله", فإنّنا في هذه الرحلة القصيرة التي تبلغ الستين او السبعين عاماً- هذا لأمة محمد-وقليل منها ما يجوز بحسب الحديث الصحيح, فإنّ هذه الرحبة القصيرة تحتاج لذاك الزاد وهو الأخذ, ولا يؤخذ عن أي احد وسنبيّن ذلك فيما بعد. وانّ هذا الاخذ وجب عمله حتى لو ساقه الله لنا دون طلب, فالله تعالى يرزق عبده بحسب نيّته, وقد قال النبي في النيّة انها اهم وافضل من اعمالنا, وان النية تقرر بعد الله تعالى ما هو حادثُ لنا وما هو كائن وان لم يتم العمل او

[10] البقرة197
[11] البقرة282

تقضى الحاجة ان كانت طيّبة يكتسب منها العبد الخير والقبول من الله تعالى والملائكة والناس وكل مخلوق من معمّري السماء والأرض, وإن كانت شراً تجعل السواد والظلمة في الوجه وعدم القبول في العالمين السماء والأرض. وقد شبّه العلماء واهل العلم والعرفان الأخذ من القلب كالكأس الذي يكون به محلول او مشروب معيّن ذو لون, فإن اضفت الماء له قلّ تركيزه ولونه الامر الذي يجعل الماء يغلب فيصير الكأس انظف واقل تلوّثاً وامتزاجاً بذاك المشروب, وإمّا نضيف من ذاك المحلول الامر الذي يزيد من اللون وتركيز التلوّث ,ففي هذه العملية يصبح على القلب نُكَت, إمّا سوداء وإمّا بيضاء, فما غلب كان على الله ان يحاسب العبد عليه وبما كان اكثر من غيره , وما زاد كان الحكم والحساب بحسبه, فالكبيرات إمّا يتجاوز الله عنها وإمّا يحاسب صاحبها والصغيرات قد يتجاوز الله عنها في غالب الامر وفي اكثر الأحيان. وهناك من الادعية ما يمحق الذنوب الصغيرات وان كانت كزبد البحر كقول: "سبحان الله وبحمده" مئة مرّة, فتتلاشى تلك الذنوب ولو عظمت. والأخذ في كثرته قد يحدّد مصير الإنسان ان لم يخالجه او يحدث شيءٌ كصفح الله او ان نقول كلمة قد تهوي بنا

في جهنم-لم نلقِ لها بالاً- سبعين خريفا, او كلمة لا نلقي لها بالاً من الخير قد تبعدنا عن جهنم سبعين خريفاً, ففي الدنيا امورٌ وعجائب قد لا نلاحظها رغم بيانها وتبيينها من الناس ولكن الله يرى النملة السوداء على الصخرة الصمّاء في الليلة الظلماء, وهو على كل شيءٍ قدير, وهو العالم اعلم من كل ذي علم والرحيم الودود الذي قد يرحمنا رغم ذنوبنا وهو شديد العقاب الذي قد يعذّبنا بقليل الذنب, وكل ذلك متعلّق بحسن او سوء الظن بالله ,فالله عند ظن-او حسن ظن-عبده به, ولا يكون إلّا ما شاء الله, ولا نشاء إلّا ان يشاء الله وهو المولى القدير على كل شيء. والأخذ في اكثره يكون بالقصد والنيّة, فالناس مقسّمون الى طائع وعاصي ما يجعل ذلك في نهاية واخر الزمان شيئاً غالب في نوعه, فيمحّص الناس لكافر او مؤمن, فتدمغ الدابة التي تأتي فتحدِّث الناس بما كان من عجائب الأمور وما أراده الله تعالى وما حكم به والامارات وغيرها, ولكن أخذنا يجب ان يكون في طلب العلم وطلب العبادة, وما وازنّا بينها كانت لنا النجاة والسعادة في الدارين, فالعلم نافع وذو منفعة يحيّد العبد عن النار ومن العذاب وهو حجّةٌ يوم القيامة لصاحبه وربما يكون صدقة جارية عند حسن عطائه ككتابة العلم

وتدوينه وفي العطاء لنا فصل ومقال فيما سيأتي. والله تعالى اعلم.

ممّن يؤخذ

وإنّ لكلِّ فنٍّ رجال, وهناك من اشتهر في اكثر من فنٍّ واحد فكان عالماً بأكثر من علمٍ, ومن اخترع العلوم كبعض مشايخ الصوفية الذين اجتهدوا فكانوا من اهل الإحسان فكان لهمم العطاء وهم ممّن يؤخذ عنهم ولا ينبذون وهم في زماننا أولى الناس بالتعامل معهم بتعلّمٍ وفهم وعرفان في سبيل الله العزيز المنّان. وكما نعلم ونقول دائماً انّ لكلِّ فرقة من فرق اهل السنة والجماعة زمان لها محدّد, كما الشرعات, فكل شرعة قد خلت كان لها دورها في توصيل الإسلام ونشره بفهم الأنبياء والرسل عن الله تعالى وفهم الحواريّين والاصحاب والاتباع دون تحريفٍ او تبديل ودون زيادة مخلّة او

تقصير مقل وكلّه من الوحي من الله تعالى ومن روحه جبريل على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام. فإن جئنا لفرق اهل السنّة –وقد تحدثنا عن هذا في كتبنا- فنبدأ بالصوفية الذين اجتاح فهمهم ونهجهم البلاد والعباد في بداية القرن ال20 وقد كان يأتي مثلاُ اهل غزة من الصوفية الى مدننا وقرانا متاجرين مع الله وينقلون العلم والتعليم والفهم والتفهيم بطريقة مقبولة على الله والناس, وكانوا في طريقهم يتاجرون بالفواكه والخضروات فما بقي بعد البيع وزّعوه على الناس ومن حضر مجالسهم. فكان التمكين الأوّل في ذاك الزمان للصوفية الذين بذلوا الغالي والرخيص في سبيل نشر دين الله بالدعوة والإرشاد والفهم عن رب العباد, وقد اشتهر اهل التصوّف بعلم الكلام والكلام عن الله ورسوله والصحابة ومن تبعهم بإحسان, فإن اردت علم الكلام المقبول والغير مردود والشرعيّ المشروع ذهبت لهؤلاء القوم العارفين بالله. ثم اتى بعدهم طور الاخوان المسلمين فاجتهدوا بالدخول في السياسة حتى كان ما كان من اعمال شغب والتي قد قتل اثرها الناس من الاخوان ومن غيرهم وانتهت بالتوقيع على عريضةٍ تمنعهم من العمل السياسي او من العمل في مجالهم الذي اشتهروا به, فكانت الجماعة الإسلامية وغيرهم الذين كان لهم دورٌ سياسي وثوري حتى اغتيل

من اغتيل من ساسة مصر فانتهى طورهم الذي ختم ببدء السلفيّين بالعمل الدعوي , وقد كان دور الاخوان سياسياً بحتاً مع ادخال بعض أمور الشريعة, فهم ممّن يقدّمون ويفضّلون الحاضنة واتّساعها على كل شيء وهم الذين يهمّون باعتلاء الحكم بأي طريقةٍ كانت ولو بالتنازل قليلاً عن غير الثوابت من الأمور الصغيرات التي لا بأس بتأجيلها وتأجيل البت بها لما بعد التمكين السياسي, ولكن نهجهم لم يكتب له النجاح في أي وقت من الأوقات وإن كان لهم دور في حكم مصر من الشيخ محمد مرسي ولكن الله قد أوقف عملهم لأجل بعض التنازلات التي كان لا بد منها ولكن الله لا يرضى لعباده مثل تلك التنازلات ممّا ادّى الى انقلاب عسكري , وما لم يفهمه الاخوان انّ التغيير يأتي من الجيش, فسلّم مرسي لكل من كان في النظام السابق فغدروه وانقلبوا عليه وكان ما كان من إعدامه ومن كان معه. امّا ما يخص السلفيين فهم اهل الحديث الذين قد أوصى النبي صلى الله عليه وسلّم بهم وقد ظهر النبي لاحد مشايخهم في الرؤيا فسأل الشيخ النبي عن اهل السنة والجماعة, فقال له النبي: انتم يا اهل الحديث-انتهى كلامه صلى الله عليه وسلّم- ,وأمّا دورهم فكان في ضبط السنّة المحمّديّة وحفظها من الدس والكذب والتدليس الغير مشروع, وقد حذّر النبي ممّن يكذبون

عليه فقال صلى الله عليه وسلّم:[12]"من كذب عليّ متعمدا فليتبوّأ مقعده من النار", وقال في الكذابين الذين يظهرون للناس وحذّر منهم وهو الصادق الذي لا ينطق عن الهوى. فالاخوان في العمل السياسي والميداني والعسكري, والسلفيون في العلم فمنهم يؤخذ ولا يأخذنّ احدٌ عن غيرهم إلّا ان يكون في علم الكلام والكلام بالله سبحانه فيؤخذ عن الصوفية. ثم بعد حقبة السلفيين رجع سيط الصوفية فظهروا وانتشروا وقد عمّ الخير من الله لأجلهم ولأجل من تبعهم, فهم اهل الإحسان, فكان تجديد الاخوان في بداية القرن ال20, ثم انتقل التجديد الى السلفية في ضبط النصوص, ثم رجع الامر في انتشار اهل الصفة ومنهجهم فأكثر الأقلية من الناس هم صوفية واشاعرة وهم اكثر اهل السنة والجماعة ويقول في انتشارهم وغالبيتهم في المسلمين الكثير من الصوفية والاشاعرة فيفتخرون في كونهم اكثر الأقلية المسلمة في الناس, فكما ذكرنا قبلاً انّ اكثر اهل الأرض ضلّال وان اتبعتهم لاضلوك عن سبيل الله بحسب الايات, واقليتهم هي من المسلمين والذين يبلغون او يزيدون على المليار في العالم, فكان اكثر الأقلية اشاعرة وصوفية ونصفهم او

[12] صحيح البخاري-1291-صحيح

متوسطهم سلفيون ,والاخوان محسوبون على السادة الاشاعرة, ثم الأقلية للاقلية وهم خاصة الخاصة من الاولياء والزهّاد واكثرهم من الصوفيين. ثم انّ العاميون اكثر من الاشاعرة في اهل السنة ,وهم الذين يتديّنون التديّن الشعبي –وقد ذكرنا ذلك قبلاً- وهم الذين يؤدون صلاتهم في المساجد واكثرهم لا يقرأ القرأن, فصاروا من المسلمين لا يتعدّى ولا يتجاوز ذلك شيء, وهم قد افلحوا ان صدقوا ولو لم يصلوا السنن والرواتب لحديث النبي مع الاعرابي الذي قال انه لن يزيد على الفروض شيء وقد اقسم, فقال النبي فيه:[13]"افلح إن صدق", ثم من يقرأون القرأن فهم اهل الله وخاصته, ثم خاصة الخاصة من الاولياء الذين يخشعون في كل وقتٍ وحين ويذكرون على الدوام, فكان العاميّون الاكثرية واهل القرأن المتوسّط ,والاولياء والزهّاد هم اقل ما يكون من امة محمّد, وهم ان صلحواصلحت امة النبي المختار وكان لنا السود والسواد. فالعوام لا يؤخذ منهم علم إلّا ان يكونوا من الوعّاظ فيما بينهم دون الدخول في دقائق العلم والفهم, ولكن الوعّاظ معروفٌ عنهم انهم قد يخطئون في بيانهم,

[13] صحيح البخاري-1891-صحيح

وقد يخلطون بين امر واخر ولكنهم على خير ما اخلصوا النية لله تعالى وكانوا من الجادّين والمتجرّدين, ولا

يحسب عليهم ما يحسب على الخاصة وخاصة الخاصة, فكلّما ترقّيت في المرتبة زاد التشديد والتقييد عليك, فقال بعض العارفين اننا لو عشنا في عصر الصحابة لقلنا فيهم انهم متشدّدون, ولو عاش الصحابة في عصرنا لكفّرونا والله اعلم في صحة هذه المقالة ولكنّنا نأخذ الخير منها ولا نتشدّد ولا نلين اللين القادح بالدين, فلا افراط ولا تفريط. والله تعالى اعلم.

التوفيق بين الأخذ والعطاء

وممّا يجب على الاخذ بعد فترة من اخذه ان يعطي بأي طريقةٍ كانت ,إمّا كتابةً وتصنيفاً وإمّا تدريسا, والتلقين أولى لما قاله عبد الله بن مسعود بأخذ الصحابة من الصدر الى الصدر حتى بدأ التدوين بعد عهد النبي وقد دوّن في

حياته الشيء القليل. والرواية افضل ما يكون مع قول اسم الراوي نسبةً وسنداً, كما انّ لكل الرواية هناك سندٌ من شيخ عن شيخ ,وليس المقصود سند الحديث وانما سند روايته برجل عن رجل. ومن اشهر العلماء في عصرنا الشيخ محمد الددو الشنقيطي وقيل انه من اعلم اهل الأرض وكذلك الشيخ الحويني فعن هؤلاء يؤخذ. ولكن هناك فترة يجب التوفيق فيها بين الاخذ والعطاء, وهي الفترة الانتقالية من الاخذ للعطاء-في اكثر الأحيان-, وما وجب هو التنسيق بين المرء ونفسه وممّن يأخذ ومن يساعده على العطاء كتخريج وتحقيق وغيره, فصار هناك من الواجب التنازل عن بعض الاخذ او بعض العطاء لأجل المصلحة والبقاء على المستوى المطلوب والوتيرة المفيدة لنا ولغيرنا. فإن كنت في جلّ امرك اخذاً صار عليك ان تتنازل قليلاً عنه ولو قليلاً ولو كثيراً الشيء الذي يتيح لك العطاء وقتاً وجهداً ومناسبةُ مع من تتعامل من المعطين والاخذين. فالبدء اولاً يكون بثلاث سنوات من الاخذ في كلية او جامعة او مؤسسة حتى – كما قال الشيخ الحويني-يجبر الطالب للعلم نفسه على الطلب والقراءة والاخذ, وان اكمل لست سنوات-كالشيخ السنوسي الذي اخذ في كل وقته لست سنوات ثم اجتهد بالتصنيف- ثم يبدأ بالتصنيف, وهناك من يكمل بالاخذ

ولكن بتقليل الوتيرة عسى يرزقه ويعطيه الله الوقت والفسحة والفراغ والقوة والجهد حتى يتفرّغ للتصنيف وموازنة ما عَلِم, فهو كالعبادة وطلب العلم, وانّ اجلّ عبادة هي توصيل وايصال العلم للغير, فقد كان الإمام الشافعي يقوم ليله بطلب العلم, وله قصةٌ مشهورةٌ حين كان ضيفاً عند احد أصحابه فرقد في الطابق العلوي ونام صديقه وابنته في الأرضي, فارادت ابنته ان تتفقد حال الشافعي ليلاً فوجدته قد بقي في فراشه, وظنت انه قد صلّى الفجر دون وضوءٍ , فاتى الصبح فأخبرت اباها بما شاهدت, فقال ابوها للشافعي, فأجاب الشافعي بأنه قد حلّ مئة مسألة للناس وهو في فراشه, ثم انه قد صلّى الفجر بوضوء العشاء, فهذا من العجب العجاب ان تقضي كل ليلك في الطلب دون كلل او ملل وحين يكون الهدف وما تطلبه نفسك موافقاً للعلم وطلبه والاخذ, فالشافي قد وافق بين الاخذ والعطاء بحل المسائل العلمية الفقهية ثم انه قد صلّى, وقيل انه كان ينام قليلاً وليس بعيداً انه قد نهل من العلم ولو الشيء البسيط والقليل. فهذا مثالٌ جليلٌ عن عالمٍ كبيرٍ قد افنى حياته في الاخذ والعطاء, وامّا الشيخ السنوسي فقد كتب الكثير ونظل نذكر اسمه لأجل عظمة شأنه وحاله, فقد كتب اربع عقائد للنساء والصبيان والصغرى والوسطى والكبرى, وقد وافق في الطلب

والعطاء في تصنيفه, فأعطى العقائد ممّا اخذ وقد اخذ ست سنوات ووافقها بالتناسب مع من يأخذ منه فهذا من اجلّ ما يصنّف به وهذه طريقة الحكماء والراشدين من العلماء ان تتناسب المكتوبات مع القارئ, وقد صادفنا ان نوافق بين المشتري والكتاب في اول امرنا حتى اتحنا قراءة مصنفاتنا دون مال ودون مقابل عن روح اخي الشهيد الإمام الشيخ محمود مصالحة, الذي قُتِلَ على باب المسجد الذي كان يؤم فيه بعد انتهاء صلاة العشاء نسأل الله له القبول والعيش الرغيد. فهذا من أنواع الموافقة بين الاخذ والعطاء, فهي انواعٌ قد نستطيع احصائها وسردها وعدّها بإذن الله, فالنوع الأول ان تقلّل من العطاء مقابل الاخذ الأكثر, والثاني ان تقلّل من الاخذ مقابل ان تعطي اكثر, والنوع الثالث ان توافق بين الاخذ والكتاب بتناسب القارئ والمجموعة المستهدفة من القرّاء, والنوع الرابع في طريقة الاخذ كقيام الليل والتركيز على الاخذ او التركيز على العطاء فالفرق بين النوعين الأخيرين والاولين السابق ذكرهما, ان الاولين تكون بوتيرة طبيعية وغير مجتهد فيها وهي في كثير من طلبة العلم, وامّا ما ذكرناه في الشافعي والتوفيق بين الاخذ والعطاء بوتيرة مركّزة فشتان شتان بين النوعين, فإنّ الأول يكوّن علماء ليسوا بجهابذة ولكن الثاني يكوّن لدينا العباقرة وسريعي

البديهة وحجج الإسلام واهل المعرفة والحكمة والعرفان. وإنّ الحال ــوالله يأخذ بأحوال عباده- قد تساعد وقد تمنع هذا الامر العجيب في تكوين العلماء, وان الكيّس الفَطِن من علم كيف يوافق بينها, وفي حال البداية يكون الاخذ اكثر وكلما تقدّم الحال وصار الاخذ اقل من العطاء فيسهّل الله على عباده الاخذين والطالبين للعلم بالعطاء الكثير والاخذ القليل, فربما يظن البعض ان الاخذ الكثير والعطاء القليل افضل للنفس والحال, ولكن العطاء في التدوين والتلقين فيه لذة ما ذاقها الّا من اخذ بهذه الخصلة العظيمة , وليس كل احد يستطيع ذلك انما هي رزقٌ وحظٌ فيه من الدنيا والاخرة ما يغني عن كل ما في الدنيا ولو ملئت ذهباً وياقوتاً وجواهر, فالعالم والحافظ لكتاب الله الملقّن إن صدق حاله مع الله نال اللذة في الدنيا والمقابل الكافي لعيشه الكريم والسعادة الأبدية والتي تبدأ في الدنيا حين يرَ العالم منّا حلاوة إعطاء وتلقين العلم, وليست هذه الحلاوة في شيء غيره إلّا ان تكون في عبادة مداومٌ عليها ولكن هناك الفرق الشاسع وهنا وجب التوفيق بين العبادة والعلم كما الاخذ والعطاء فما وافقتَ اتّزنت وكان فيك ما لم يأخذه غيرك, وسترى العجائب ولكن كلّ شيء وجب ان يكون بحقّه, فلا تتكلّم فيما لا تعرف فتهرف بما لم تتعرّف ولم تأخذ منه الشيء الوافي والكافي فإنّ ذلك

محذّرٌ منه ان يتلكم العبد فيما لم يتمكن منه والتكلم في الله دون سلطان ودون علم قد يتيح لك هذه الخصلة اللطيفة والجميلة ذات الحلاوة والشأن في الدارين. والله تعالى اعلم.

الاخذ لوحده دون العطاء

وهو الطور والحقبة والفترة التي يبدأ بها العبد منّا بطلب العلم, وليس هناك تقييد على العمر فمنّا من حفظ كتاب الله في جيل متأخر ,و هناك قصة احد الائمة في الحديث المحدث العالم الذي كان ممّن يشربون الخمر ويعاقرونه, فكان يجلس في موضعٍ من البلد الذي كان يعيش فيه مع اصحابٍ له, فرأى مرةً احد المحدّثين على حماره والناس من حوله, فأتى اليه ليسأله ما يبيع ولمَ الناس متجمعةٌ حوله وما سر ذلك, حتى سأله ,فكان رد الإمام المحدّث بسرد حديث النبي الصحيح ,فقال:[14]"إنّ ممّا ادرك الناس من كلام النبوّة ,اذا لم تستحِ فافعل ما شئت", وهذا كان ردّاً صارماً ومؤدّباً لذاك الذي يشرب الخمر ,فندم الرجل

[14] صحيح البخاري-3483-صحيح

وترك الخمر وصار من أئمة الحديث والمحدثين الكبار في عصره وغير عصره وقد كان قد بلغ من العمر الشيء الغير قليل. وكذلك الإمام أبو حنيفة فقد بدأ بطلب العلم في جيل كبيرة, ولكن ذلك لم يثنِهِ عن الطلب الغزير والمركّز ممّا جعل منه إمام الفقهاء, فقال بعضهم:[15]"الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة" او كما قالوا. وللشيخ مسبّب في كون مذهبه عقلانيّ والامر الذي جعله ينهل ويطلب العلم بغزارة ودون توانٍ, مع العلم بأهميته وانه يجب ان يكون من اعلم الناس حتى ينجو في الدارين وحتى يقيم الدين واركانه, فكان الشيخ في احدى الأماكن نائم, فقام ليصلّي صلاة الفجر, فأراد ان يتوضّأ وكان الجو مثلجاً والنبع الذي أراد الوضوء منه كان متجمّداً إلّا فجوة منه, فتوضّأ أبو حنيفة حتى كاد يموت من شدّة البرد وكاد يقتل نفسه لبرودة الجو الشديدة, فصلّى, وبعدما انتهى من الصلاة أخبر رفاقه فقالوا له انه كاد يقتل نفسه ,وانه لو تعلّم العلم الذي يبيح التيمّم في هذه الحالة لما كاد يقتل نفسه ولما اضطر الى تعريض نفسه للخطر, فهذا سبب كون لون المذهب الحنفي وطبعه

---

[15] الشافعي

ونوعه وطريقته بانها عقلانية اكثر ممّا هي مرهونةٌ بالنصوص , ولكن لا منازع له في الفقه وهذا ما شهد به اهل العلم والعرفان. وقصةٌ أخرى والتي كانت مع شابٍ أراد التيمّم في يومٍ بارد, فنهره من كان معه وقتها وقد كان في خروجٍ مع اهل الدعوة والتبليغ, فخجل الشابُّ من فعله وتوضّأً, وفي هذه القصة عبرة, بأنّ العزيمة في بعض الأحيان قد تكون واجبة خاصةً في الشباب والعمر اليافع فسنسأل عم شبابنا وعن وقتنا ومالنا, ومن ترخّصَ كأنه تربّص فما نال ما يريد إلّا انه قد اشغل وقته في ذاك الوقت من العبادة او الشيء المعيّن, ولضحك على نفسه ولغشّها وهذا من غشّ الله والنفس, وإنّ الانتقاص من الصلاة والسرقة منها لهو اعظم ما يكون من السرقة كما قال العلماء. فكل تلك القصص والأمور تجعل من الواجب-وغيرها من الأدلة-تعلّم المعلوم من الدين بالضرورة بغية النجاة في الدارين وتطبيق شرع الله والدين على الأقل في المعاملات والعبادات فمنها ما لا يفرغ منه احدنا في حياته وبات تعلّم هذا النوع من العلم من الواجب وليس المكمّل من العلم وهو ليس من الكماليات كما يعتقد البعض انما هو كالطعام والشراب اذا أراد احدنا الاكل والشرب بغية النجاة وعدم الهلاك.

فكما قلنا انّ هناك اول نوع من الاخذ دون العطاء وهو في بداية الطلب, ثم في مرحلةٍ-وهو النوع الثاني- قد يضطر الواحد منّا الاخذ دون الطلب, اذا ما انهى ما علمه وهذا يكون في مرحلة متقدّمة, ولكن لا يضير ان يعطي الشيء القليل في سبيل الموازنة وعدم التيه او الكبر او الجهل, فيأخذ الشيء والعلم الجديد مع الاعطاء القليل وهذا محسوبٌ على الاخذ دون العطاء فالعطاء هنا قليل ولا يكاد يذكر وانما هو للضرورة, كما انّ إعطاء المعلوم من الدين بالضرورة نوعٌ وباقي العلم نوعٌ وجنسٌ اخر في وجوبه وحلّه-كتحريم علم الكلام الغير مطلوب وقد جحد أبو حامد الغزالي في فترة من فترات عمره حتى تاب الله عليه ولم يذكر ذلك في كتبه- واولويته, فتنقسم تلك العلوم في إعطائها الى اقسام, الضروري والمكمّل والمزيد في هذه الدنيا من العلم اللدنّي, ويكون الاخذ في الضروري منه واجبٌ دون العطاء فلا يجوز الخلط بين المعلوم بالضرورة مع العطاء رغم وجوبه وجوب تعلّمه وتعليمه ولكن عند الانتهاء من الاخذ يمكن إعطاء هذا العلم لألّا يختلط شيء منه ببعض او بغيره من العلم المتقدّم والكمالي. ثم في العلم المكمّل فلا بأس بالاعطاء مع الاخذ وهو الشيء الذي يوازن الحال ويغيّر من اجواء الطلب الامر الذي يترك في نفس الطالب المتعة وعدم

اخذ العلم الجاف وحده خشية قسوة القلب او جفاف المرونة في الاخذ والعطاء من المعاملات فلا يتشدّد, وهو رحمة له من الله ومن العلماء المصنفين لتلك العلوم والملقنين لها. امّا في امر العلم اللدنّي فهو تلقائي وعفوي وهو البسيط الذي لا يحتاج غير الله الى وسيط, وهو الاتصال في المقال وهو العلم الجاري على اللسان والمرقّي للإنسان دون التعلّق بالزمان والمكان وهو يأتي بالأنواع والألوان للعوم والفنون الشتى والكثيرة, والاخذ والعطاء به متعلِّق بالحال, فإن استطاع الاخذ مع العطاء كان به وإلّا لتغيّر عطاؤه من اللدني من العلم وباتت هناك الصعوبة والاستحالة له احياناً فبحسب الحال وهو علم الحال من علوم المقال.

ومن الخطير من الأمور والمهلكات والمؤديات بالعبد الى جهنم والنار والعياذ بالله ان يكتم احدنا علماً, فيظل يأخذ طامعاً بتحصيل العلم الجمّ والغزير دون العطاء, فهذا امرٌ غير مقبول لا من الله ولا من الناس, فعند الله هو تأثّم بالكتمان, وقد اخبرنا سيّدنا معاذ بن جبل بحديث حق الله على العباد وحق العباد على الله في اخر عمره تأثّماً وهو من خير القدوات والذين يؤخذ عنهم, فالاخذ في نهاية العمر ليس بواجب إلّا ان يكون في الصلاة والعبادات ولا

حاجة للكبير في السن من المعاملات فليتركها لابنائه واحفاده ان وجد وإلّا لتعلّم ما يفيده في هذا السن, وقد تعلّم من الائمة وحفظ الابيات الشعرية في اخر عمره وهو يعالج الموت في فراشه وهناك الأمثلة الكثيرة, وهو الاخذ كخاتمة حسنة فهذا من اجل ما يكون خاصةً لمن شبّ وشاب في طلب العلم فهذه خاتمته يبعث عليها. والله تعالى اعلم.

العطاء دون الاخذ

وقد نظّرنا في امر الاخذ دون العطاء في الموضوع السابق, ودق قلنا انه يمكن ان نأخذ دون العطاء مع العطاء القليل فلا يمكن الاخذ دونه ولا بأي شكل ففي ذلك خطر على مصير الانسان فيمكن ان يواري الثرى في أي لحظة ولكنه غير محسوس لقلته وكذلك ضرورته في النجاة والموازنة عسى لا نصاب بالكبر لكثرة العلم او ان نصاب بالجهل لقلة ما نعلم لإخراج اكثره, فمنّا من يصنّف الشيء الاني فينساه فيما بعد. وكذلك العطاء, فلا يمكن ان نعطي بشكلٍ بحت دون الاخذ, فمنّا-كالشيخ

عكرمة صبري شيخ الأقصى حفظه الله- لا يحضّر لخطبة الجمعة ويقول بما فتح الله عليه ويوفقه الله للخير الكثير, ولكن القصد هنا انّ الاخذ البسيط ممّا يتوافق مع ما يحدث معنا في كل يوم وحين, فالله يوفقنا لمعرفة ما يفيدنا وما هو متعلّق بما سيحدث فيما بعد, بعد يوم او ساعة او حتى دقيقة, فمن الصوفية من سمّى وصنّف في هذا العلم ونظّر وشرح عنه –وهو حقيقة- حين يتوافق مع ما تفكر فيه ما ترى, كأن تذكر اسم الله في مجلس ذكر فيوافق ذلك قول الذاكر او القارئ او المادح, فهذا اعلى مقامات الموافقة بذكر اسم الله تعالى بما يوافق المسموع دون قصد, وانما هذا رزق بالضبط كالذهب والفضة والجواهر وغيرها من الكنوز فهي مثبّتة للحال ومعينة ومساعدة ممّا يستيقن صاحبها شأن امره ممّا يزيده توفيقاً وسلوكاً, ومثل هذه الموافقات قول الله تعالى:[16]"انك على الحق المبين" وغيرها من الايات والاحاديث والذكر المحمود لسيد الوجود ومن تبعه بإحسان.

فالعطاء يبدأ اوّل نضوج العبد في ساحة العطاء ولب العطاء وسيد الحالات التي يكون فيه العبد مربّياً لأبنائه

---

[16] النمل 79

اولاً, فقيل: "اقم دينك في نفسك يقم في بيتك, واقم دينك في بيتك يقم في قومك"-او كما قيل- فأنت تبدأ التربية والعطاء في نفسك فإن اقمتها ــومن الأئمة من جاهد نفسه ثلاثين عاماً حتى يقوّمها فاعطاه الله ما أراد ونجح في ذلك بفضل الله تعالى والمجاهدة في سبيله- أقامها الله في بيتك, فمن الزوج العدو والابن كذلك, وكذلك هناك من يعينك على أمور دينك, فقال النبي صلى الله عليه وسلّم في نكاح المرأة:[17]"اظفر بذات الدين تربت يداك", فهذا معينٌ ومساعد في إقامة شرع الله, وكم من الناس من اعداؤه هم زوجه وابناؤه, يقارعونه في عقر داره, فذاك الغريب في وسط اهله ووسط بلده ووطنه-قيل ان الوطن هو الجنة فالارض لله يورثها من يشاء من عباده ــ فربما يحيد وربما قوه يستعيد ويصير عالماً مجيد ولو لم يكن امره بين اهله وعياله حميد, فالله هو المعطي وهو الرازق لخير الجني وخير الدنيا والدين. نعم, كم من غريب وهو بني اهله وهذا امرٌ واجبٌ التنبيه له لأن العبد كلما تقرّب من الله في زهد وتورّع عن الدنيا كلما رأى العبء والثقل في مخالطة الناس ولو كتب له القبول فيما بينهم, فإن

[17] الالباني-غاية المرام-222-صحيح

الخلطة بالناس دون وجبة العزلة-ونقولها دائماً- تقسّي القلب وتجعل الحيدة حتى دون ان نشعر, فلن تستطيع

إرضاء الله والناس معاً, فهو امّا الله وامّا الناس, واللبيب والسعيد من وعظ واتّعظ بغيره لا في التكاثر بالاموال والابناء فانما هي فتنة تكون وبالاً وعذاباً على أصحابها ما لم يكونوا في مقام الطاعة في حياتهم, ومنهم من يعينه ذلك والله علم بما يفيد العبد, فيظهر لنا الموافقة في العمل –بعد القول كما ذكرنا- ففيه البركة والخير الكثير للطائعين, وامّا من أراد الكثرة فلن يشبع مهما اخذ كما اخبرنا النبي صلى الله عليه وسلّم, فطالب الدنيا لا يشبع وكذلك طالب العلم وهذا ما يخصّنا. فالعطاء واجبٌ لكن لا يكون وجده بتخلّل بعض وقليل الاخذ لذلك وهو الموزن لحاله, فالمستفيد والمفيد لغيره من تعلّم العلم الذي يحفظ الدين والدنيا, فعلم الدين يحفظ كليهما, فقيل من قِبَل النبي في انه لا يجوز ان نأخذ الاجرعلى القرأن وتلقينه, ولكن اجتهد العلماء في عصرنا-وما قَبلَهُ بظنّي-فقالوا: ما لم يكن يعمل وما لم يقتات بعمل اخر حلّ اخذ الاجر على تلقين كتاب الله, وهنا بتتميم الدين على النبي والعباد يأتي دور السنة الكونية والحياتية وما يحدث في دنيانا قبل الاخرة بإعادة الزمن لنفسه, فما اخذنا المقابل لاجل

التلقين سيأتي الوقت والزمان والزمن الذي لا يؤخذ على التلقين شيء, فسيخرج الله للمهدي ومن تبعه بإحسان من كنوز الأرض ما يمتد على طول الأرض المملوكة للمسلمين, وفي ذلك الثمرة لأجل المجاهدة, فما لم نأخذ في زماننا هذا المقابل والاجر ما زادت تلك الكنوز, والله سيفتح على عباده الموحّدين البلاد فيكون لهم الغلبة بإذنه تعالى ولكن الصبر والصلاة . ومن العطاء ما فيه صبر كأن يدرس او يدرّس المادة او العلم الجاف فيجاهد نفسه كفلين من المجاهد بالعلم الذي يتخلّله القصص والمواعظ وما يبل المادة ويجعلها سلسة سهلة. ومن الناس من يفضّل التلقين على وضع قوانين للعلم فيصير صعبا كعلم القراءات, فيمكن تمريره وتلقينه بدل وضع القواعد النظرية المكتوبة وقد لمسنا الفرق بين الطريقتين في حياتنا في علم التجويد وذاك كان ما قاله عبد الله بن مسعود بتناقل العلم من الصدر للصدر حتى ظهر المدوّنون. وربما يختص علم القرأن بالتلقين تجويداً وحفظاً وما يختصه من العلوم لاجل وجوده في زمن النبي صلى الله عليه وسلّم في كثير منه, فالنبي اميّ لا يقرأ ولا يكتب وانما كان تعليمهم تلقينا. والعطاء يكون منفرداً في حالتين, واحدة لك والأخرى عليك, فالتي لك ومباحٌ امرها, ان تلقّن او تعلّم العلم خوفاً من ضياعه

خاصةً وان الامة تفتقر الى اهل التخصّص في العلوم الحافظة للعلم كعلم الحديث, فاقتصر العلم فيه على الأساسيات دون التبحّر فكان النقص والفج العميق بين زماننا وما سبقه من الازمان رغم الثورة والصحوة في منتصف القرن العشرين من قِبَل السلفيين اهل الحديث ومدرّسيه ومتعلميه, فاختصّوا بخاصية التخصص بعلم مهمٍ ومفيد رغم صعوبته للمبتدئين وصعوبة العمل به بالتخريج للاسانيد والمتون, ولكن في عصرنا سهل العمل به لأجل التقدّم والبيئة المحوسبة التي نعيش فيها. والله تعالى اعلم.

تنقيح المصادر

قيل اذا اردت ان تعلم او تتبحّر في شيء فارجع الى الأصل. والاصل هنا ما كان اول امر الشيء ان كان علماً او كان ما كان, ونحن في اخذنا وجب علينا الرجوع الى اصل كل علم, فوجب الاخذ عن الله ثمّ عن نبيّه, وهذا هو الأصل الذي لا زيغ عنه ولا يبدّل ولا يحوّل الّا ان يشاء الله باعجاز او باية لعباده حتى يتّعظوا كالنسخ في

الاي الكريم وما بدّله النبي في من أمور الدنيا ,وهو الذي لا ينطق عن الهوى إن هو الّا وحيٌ يوحى وعلّمه شديد القوى. ثم تأتي سنة الخلفاء الراشدين المهديّين والقرون الثلاث-وقيل الأربع-الاوَل, فما تلاه امكن اختلاجه مع الكذب الّا ان نخرّجه ونرجع للاصل ونقيس عليه فهنا تكمن رحمة الله بتوسّع الدين وباختلاف الاجتهادات الّا ان يكذب على الله ورسوله فلا رحمة لهؤلاء وانما الرحمة لمن تبع الهدى واتخّذ الله والنبي اسوةً ومن تبعه بإحسان. فالمصدر الإلهي لا يغيّر –وقد نسخ الله بعض الايات في زمن نبيّه-, وسنّة النبي لا تبدّل الّا ان تؤخذ المصلحة دون مداهنةٍ وانما بتوفيق وتأجيل لا يضر حى يتهيّأ الناس لذاك الامر, رغم كون الصحابة حين حرّم الخمر فقد اراقوا جرار الخمر في شوارع المدينة دون تدريج, قال تعالى:[18]"يريد الله الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلاً عظيما", ولكن هناك أمور لجهلنا وتقصيرنا وعدم معرفة معظم الناس لأمور دينهم ,فلا يجوز التشدّد دون الاخذ بالمصلحة والفائدة, فلا نقول في الثوابت والأصول فهذا لا حيد عنه ومن حاد عنه فقد طغى وحشر

---

[18] النساء27

مع فرعون ومن كفر قبلُ من بني إسرائيل والنصارى الذين امنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض فأين يذهبون؟.

ثم نكمل في سنة الصحابة فما سنّوه وجب اتباعه ما كان واجباً, وإن سنوا السنن الطيبة والحسنة اخذنا بها, كجمع عمر الناس على امام واحد في التراويح حين رأى الناس قد افترقوا كل مع امامه فقال في ذلك:[19]"نعم البدعة", وكذلك تدوين الكتاب, فقد استخار عمر شيئاً وقدره حتى فتح الله عليه والهمه تدوين الكتاب حتى لا يضيع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلّم. فالله والرسول ثم الخلفاء الراشدين ثم الائمة والاعلام والعلماء, فعلى رأس كلّ أربعين-وقيل مئة-عام يبعث الله من يجدد امر الدين, فجمعنا-وذكرنا ذلك في كتبنا- بين الأربعين والمئة فقلنا انّ الله تعالى يجعل البدء بالفتح والعمل في تجديد العلوم وما يحفظ الدين وما هو مهم في العصر المعيّن في الأربعين, ثم يبدْ العلماء وطلاب العلم بالتعلّم ونهل العلم وبناء الصرح حتى يجعل الله التمكين والنصر على رأس المئة-والله اعلم. وفي تنقيح المصادر فهناك عدة طرق لهذا التنقيح, فإن كنت طالباً للعلم تبحث عن كتابٍ للأخذ والنهل فعليك باستشارة شيخك, ومن كان شيخه كتابه كثر

[19] صحيح البخاري-2010-صحيح

غلطه او لغطه كما قيل, فالاستشارة والاستخارة حتى يقضي الله امراً كان مفعولا ولكن لخير دون البأس او الضر والشر ففي ذلك –في معظمه-الخير الكثير, فإن كان الكاتب والمؤلف والمصنّف للكتاب من اهل السنة فبه ونعمة, وإلّا لردّ كتابه ولما جاز او حلّ الاخذ عنه لزيغه وحيدته وعدم سلامة مذهبه ونهجه. فيلخّص الكتاب او يقرأه مراراً حتى تتحصّل الفائدة ويقرأه مع أصحابه والطلاب الذين معه وليكتب عليه الحواشي عسى يستفيد ويفيد الله به, ومن هنا ننطلق الى باب وبوابة التصنيف, فمع الوقت ستنسى ما قرأت وطلبت من الكتاب الأول ثم الثاني ثم الذي يليه, وكتابة الحاشية لهي خير الطرق لفهم وحفظ النكت واللطائف والمعلومات دون ابهام او غموض, فتقرأ الكتاب على شيخك ولو انفقت المال على ذلك, ثم تكتب الحواشي على طول النهل من شيخك وبكتابك, عندما تريد التصنيف فيما بعد في نفس المادة والعلم هذا يكون من السهل عليك ذلك, ولكن ليس كما قال بعضهم:

خذ من هنا وضع هاهنا

وقل مصنّفه انا.

ثم ننتقل الى التصنيف ,فوجب عليك الطلب يشكل غزير ومركّز عسى يجعل الله لك التمكين والفتح في كتبك وتصنيفاتك, فمنهم من نهل وتعلم الثلاث سنوات واخرون –كالسنوسي-تعلّموا بشكل مكثّف وفي كل وقتٍ وحسن ردّدوا العلم وذاكروه الست سنوات فبدأوا بالتأليف والتصنيف والكتابة, ووجب علينا اخذ اسيادنا العلماء قدوةً واسوةً حسنة بعد النبي صلى الله عليه وسلّم والصحابة الراشدين المهديين والسلف الصالح, فالعلم من اهل العلم السلفي إلّا ان يكون التعلّم في علم الكلام المباح فنأخذه عمّن تصوّف, فالله يفتح عليه في فراشه ما لا يفتحه عليه في صلب صلاته, وقد كان عمر رضي الله عنه وارضاه يعدّ الجيش في صلاته, وقال العلماء ان الشيطان لا يترك ابن ادم في صلاته حتى يلتفت او ينشغل عنها وهو يصلّي, فإن اردت تذكّر شيئاً فابحث عنه في الصلاة وخلالها.

امّا في التعلّم دون الشيخ فرغم انك وحدك وليس معك احد او شيخ تطلب على يديه, فوجب عليك التعلّم والاخذ من الأصول اوّلاً فعندها تستطيع ان تدبّر طلبك دون الشيخ, وكم من قارئٍ لم يفقه شيئاً او علم الشيء بالطريقة الخطأ فضلّ وأضلّ, وبدل ان يبني هدم او بدأ بالهدم,

فهذا يؤدّب الّا ان يكون قد وصل لدرجة الاجتهاد, فلا ضير في قول الرأي في الأمور المختلف فيها والتي ليست من الأصول وانما من الفروع الامر الذي لا يعقّد ولا يجعل الهدم شيئاً بيّناً ومذكورا, فتكتب ملاحظاتك- وليس على الكتاب حتى لا تتبعثر المعلومات الصحيحة مع الغير صحيحة- على ورقةٍ تحفظها وتراجع فيها الشيء وتستذكر عنده ومنه ووجب الاستشارة قبل الاستخارة ولا يجوز ان تستخير دون ان تستشير, ففي ذلك اوّل طريق التيه والضياع خاصةُ للمبتدئين من الطالبين وطلاب العلم. والله تعالى اعلم.

العمل

فبعدما عرفنا ما الاخذ وما العطاء وجب علينا معرفة كيفية العمل بهما, فنبدأ اوّلاً بالاخذ كما قلنا سابقاً لثلاث او ست سنين او ما يزيد والزيادة خير ولكن وجب العطاء ولو بوتيرة قليلة الشيء الذي يوزن ويوازن حالنا مع الله ومع الناس. بالضبط كالعبادة وطلب العلم, فالتناسب بينهما يكون ايضاً بالاخذ او الطلب والعطاء, ولكلٍّ عمله

وما يسره الله له, قال صلى الله عليه وسلّم:[20]"اعملوا فكلٌ ميسّر لما خلق له", وقال تعالى:[21]"وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون", وقال تعالى:[22]"واعملوا صالحا", فاختص الله عباده انبياءه وعباده الصالحين بعمل الخير والصالحات, فاختلف عمل العامّيّ عن عمل العالم وكذلك المسلم عن المؤمن عن المحسن, فالامّة كما نقول دائماً مقسّمةٌ لأقسام, فاكثر العالم ان اتبعته لاضلك عن سبيل الله, وقلة الأكثرية هو المسلمون او العاميّون, ثم الوسط وهم المؤمنون ثم المحسنون والاولياء وهم اقلية الأقلية في عالمنا هذا. وانّ عمل العامّيّ ليس كعمل العالم, وقد خفّف الله عن عباده المسلمين بنفير ثلةٍ منهم حتى يتفقهوا في الدين فينذروا قومهم, فسقط التكليف عن المعظم وبات واجباً –المعلوم بالضرورة- على كل المسلمين تارةً ثم اختصّ الله العلماء والثلة النافرة بباقي العلم فكانوا هم مراة الامة امّا يصلحوا فتصلح الامّة وامّا يلينوا او يشدّدوا فيسفسدوا فتفسد الامّة والعياذ بالله. وقد قال النبي باتخاذ الرؤوس الجهّال الذي يَضِلون ويُضِلّون

---

[20] صحيح البخاري-4949-صحيح

[21] التوبة105

[22] المؤمنون51

في اخر الزمان بقبض العلماء وليس بانتزاع العلم من صدور العلماء كما الحديث.

فالعامّيّ يكون جلّ عمله بالاخذ وبتبليغ ولو اية عن رسول الله ولا يسقط واجب العطاء ولو قلّ, قال صلى الله عليه وسلّم:[23]"بلّغوا عنّي ولو اية, وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حَرَج", الامر الذي لا يغادره وجوب في تبليغ ما عرفنا من الدين ولو كنا من العامّيّين, فالعاميّ في علمه يصلي الفرض والفروض في المسجد-وان لم يستطع صلاة النوافل والرواتب لكفاه لحديث النبي مع الاعرابيّ وقد ذكرناه سابقاً بالفلاح ان صدق- ويردّد اذكار الصباح والمساء ولو لم يحفظها والادعية اليومية, ويجدر به ان يحمل كتيّب حصن المسلم او مقاليد السموات والأرض الامر الذي يسهّل عليه امر دينه وشأن الدعاء في المناسبات وحين إتيان وقتها, ثم يقرأ او صفحتين من كتاب الله ممّا يجعله أخذاً قليلاً يستطيع تبليغه لعدم فطنته وعدم كونه من الاذكياء الذين يصلون الى المراتب العلا بأمر الله وبإرادته سبحانه وبمشيئته, قال تعالى:[24]"وما

[23] ابن تيمية-مجموع الفتاوى-1\11-صحيح-اخرجه البخاري3461
[24] التكوير29

تشاؤون الّا ان يشاء الله رب العالمين". فيصلي الصلوات ويحافظ عليهن ويذكر اذكار اليوم والليلة ويدعو في

الأوقات المطلوب فيها الدعاء ويقرأ ورد القران ولو قلّ, فيصبح ان داوم ممّن حقت له الجنّة وان داوم على معصيةٍ, فالمؤمن له معصية فكيف بالمسلم الذي قد يستغيب اذا ما انس بالناس الشيء المبالغ فيه فالمسلم اكثر اختلاطاً بالناس من المؤمن ومن المحسن, فتلك الاعمال كافية له للدرجة التي أرادها ولمقام الإسلام بإذنه تعالى. ثم نأتي للعالِم, فإن كان مؤمناً كفاه ورده من الكتب مع عمل المسلم الذي ذكرناه ولكن بزيادة ولو قلّت عم الورد ذاك ووجب عليه حفظ الادعية المطلوبة في الأوقات ووجب عليه الصلاة في المسجد-وعند الشافعية هي سنة- ووجب عليه اخذ مذهبٍ يتمذهب به , ونشدّد على الورد العلميّ اليوميّ الذي دونه ما استطاع ان يثبت هذا العالِم ولضلّ وما زاد من الورد كان له خير. امّا ان كان العالِمُ محسناً, وجب عليه زيادة الورد وان يذكر في كل وقتٍ وحين ان لم تشغله طاعةٌ أخرى, قال تعالى:[25]"فإذا فرغتَ فانصب , والى ربّك فارغب", وهذا توجيه الله لعبده محمد سيد المرسلين لما يحتاجه من زادٍ في رحلته

[25] الشرح7,8

الدعوية والجهادية ولما يترتّب عليه احتياج الأثر من تلك العبادات والذكر وغيرها فكان النبي يصلي من الليل صلاةً محسّنَةً طويلةً ووجبت عليه من دون الناس, فالمحسن كان حريٌّ به الذكر على الدوام او اخذ ورد طويل من الذكر , وإن صلّى على النبي في كل حاله كان خيراً جمّا ولنجى على السراط لتثبيت الصلاة على النبي له عليه بعد الله تعالى, ومن الناس من يمشي على السراط تارةً وتارةً أخرى يكب على وجهه ترفعه الصلاة على النبي وهو من امة النبي صلى الله عليه وسلّم ويمكن كونه من المحسنين, فالمعصية لا بدّ منها وفي الحديث انّ من يلتزم اكثر تكون معصيته اقرب منه ولكنها لا تحيط به لأنه من التوابين على الدوام والاوابين ,قال تعالى:[26]"واتقوا الله ويعلّمكم الله", والتقوى تتحقّق هنا عند كثرة الاوبة والتوبة ولو كثرت المعصية, فهي مرة أخرى لا بدّ منها تكون عند المسلم اقلّ من المؤمن وعند المؤمن اقل من المحسن, ولكن العالم ان كان في أي مقام من تلك المقامات قلّ ذنبه ف[27]"انما يخشى الله من عباده العلماء". هذا في امر العالِم ان كان مؤمنا او محسناً, امّا ان كان عامّيّاً ومؤمنا وجب عليه زيادة الورد وهذا لا يسلم من

[26] البقرة282
[27] فاطر28

المعاصي, والمحسن يزيد اكثر في ورده فيذكر الله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلّم في اكثر وقته, وفي كل تلك المقامات فإنّ الطاعة ولو قلت فإن دامت ولم تكن كثيرة فهي افضل من كونها كثيرةً متقطّعة او منقطعة. والعمل والعلم واجبٌ على كل أولئك, والفرق هو في الزيادة, وفي الزيادة وشأنها قال الله لمن احسن في هذه الدنيا, ومن يزيد من الطاعة والذكر يزده الله في الدارين-ان شاء من الدنيا دون الركون لها أعطاه الله إياها مع الاخرة, والتمتّع بالدنيا هذه وصيّة شيخنا الحبيب الشيخ المحدّث ابي اسحق الحويني دون نسيان الاخرة- وانّ الدنيا لتأتي وهي راغمة لمن اباها وتهرب وتبتعد عمّن أرادها. والله تعالى اعلم.

ترشيح المصادر للاخرين

وهو مقامٌ لا يصله الّا مجرّب, وقد قيل ان تسأل المجرّب ولا تسأل الحكيم, فربّ احدٍ منّا قد قرأ الشيء الغزير ولم يظهر في خطب الجمعة او في أي مضمار كان الذي قد يزيد من شهرته, فمن مشايخنا من اقتصر على مكتبته

والتصنيف ,فكان له الأثر والفائدة له ولغيره ولكن شهرة الخطيب والامام في المسجد اكثر منه من الجلوس في المكتبة طيلة النهار. فهنا عند البقاء في المكتبة انت ذو خبرة في الكتب والمكتوبات وانت تعلم كثيراً من المصنّفات فترشّحها لغيرك مع شرحٍ بسيطٍ عن ذاك الكتاب. وان كنت خطيباً فتستأنس بكثير من مقالات واقوال الخطباء الاخرين والعلماء فذاك بابٌ وهذا باب, ولكن الأهم من الاخر هو ترشيح الكتب لأنها أساس الطلب والاخذ ثم ان شئت ان تعطي من كتبك فهذا محمودٌ ووجب عليك ان ترشّح كتب غيرك على كتبك الّا ان يكون الامر خاصاً ومفيداً الشيء الذي لا يسد مكانه كتابٌ اخر. وهناك ترشيح المصوّرات من الدروس المصوّرة, والكتب المسموعة فهذا لا يختلف كثيراً الّا ان طريقته اسهل وانجع, رغم كون القراءة مباشرةً تحفر ما كتب في العقول غير ما هو في المسموع والمشاهد, كما انك تستطيع كتابة الحواشي على كتابك بجانب كل معلومة او فائدة ما يزيد من علمك وفهمك اذا ما رجعت للكتاب. كما ان الدروس المصوّرة قد تحذف, فوجب عليك حفظها في جهازك وهذا محدودٌ الّا ان تجتهد في جلب ما يحفظ الشيء الكثير والكافي. وانّ طلبنا في معظمه كان من الدروس فكانت الفائدة, امّا مع الشيخ وجهاً للوجه او ما

قد حفظ في الشبكة, فاجتهدنا قرابةال15 عام حتى فتح الله علينا بتصنيف ال35كتاباً, وهذا الكتاب الذي بين أيدينا هو ال36في ترتيبه. وانّ اوّل الاخذ وجب ان يكون عن الكتب والشيوخ وجاهياً, ولا يجوز ان تشاهد الدروس المصوّرة لشح الشرح او حتى لا يكون سوء الفهم من قِبَلِكَ فتَضِل وتُضِل, وهذا شأن علماء اخر الزمان الّا من رحم ربي من العلماء الجهابذة والنوابغ الذين ساد علمهم كل البقاع دون تصنّع او قناع او طلبٍ لمزيد متاع وانما كان قصدهم للعلم المشاع وهم للصرح صنّاع بعد رب العزة والجلال سبحانه وتعالى. ففي اول الاخذ يكون الكتاب الصاحب مع الشيخ الشارح والمفصّل وحينها يرشّح لك شيخك الكتب المطلوبة والتي تسد مكان أي كتاب اخر ولو عظم حجمه او طريقة كتابته فهم المجرّبون ونحن الحقل الذي يغرسون فيه ويزرعون, وفي حديث الفسيلة في اخر الزمان من كانت في يده ان يغرسها امرها بالضبط كأمر العلم واخذه, فمن العلماء من حفظ الابيات الشعرية في معالجة الموت واخرون قرأوا لهم واخرون صنّفوا والامثلة في الكتب كثير, فهي كالغرس ان كان في يدك وجب عليك زرعه فهذا افضل واحوط الى حفظ لعلم ولعلها تكون من حسن الخاتمة بإذن الله تعالى. ثم ترشيح المصوّرات فهذا فيه فسحة ,فمعظم

ما يكون في المصوّر هو وعظٌ إلّا ما خصّ به اهل التخصّص وهو كافٍ لمنه يحتاج الى الكتابة وراء الشيخ وإعادة المصوّر عسى نستفيد اكثر وعسى نستطيع تلخيص كل ما كان من ذاك الدرس, وقيل ان تشاهد وتقرأ قبل النوم, فهذا ما يرسخ في عقلك وتستطيع تذكره اكثر من غيره في سائر اليوم وهذه نصيحة الوالدة حفظها الله التي تعنى كثيراً بالتنمية البشرية وتطوير الذات وهي دارسة عند الإسلاميين في بلادنا, ولم يثنيها شهادة وموت اخي وهو خارجٌ من المسجد عن عمل اختبار أخير لمادة قد بدأتها قبل وفاة اخي, والحمد لله على كل حال زادنا واياها خيراً ورحم اخي وتقبله في الصالحين.

ثم نأتي لما صنفناه نحن, فهنا وجب ان نتأنّى في نشر الكتب, فقد نصحنا وقد قرأنا عن احد الائمة الذي قد صنّف اربعين مجلّداً حينما وصل لسن الثامن عشرة- بظني-, فنصحه شيخه ان ينتظر حتى يبلغ الأربعين فينشرها ففعل وكان له من القبول الشيء الغريب والعجيب وكتب الله له الفلاح والنجاح في الدنيا وعساه في الاخرة ولا نزكي على الله احداً. ثم ما حدث معنا حين اصدرنا سبعة عشر كتاباً دفعةً واحدة وقد اخذ منا من الوقت الشيء القليل والزمن الذي لا يتعدّى الثلاث

سنوات, فنصحني ابي بالتريّث في نشر الكتب ولكني لم اخذ بنصيحته ليس عقوقاً ولكني كنت قد أكملت في التأليف فخفت ان يفوت على الكتب الأولى او ان افقد منها شيئاً فنشرتها والحمد لله وعسى يغفر لي الله عدم الاخذ بنصيحة ابي, فسبحان الله حين يتكلّم الحكماء تظنّهم لا يتكلمون الشيء السديد والقويم ,ولكن تبيّن امر الامام ذي الأربعين كتاباً في سن الثامن عشرة فتأكدنا ممّا قاله الوالد حفظه الله. هذا في التصنيف ووجب التريّث في ترشيح كتبك تواضعاً مع الله والخلق ولكن ما لائم الموضوع المتحدث به والمدرّس والمتكلم به وجب عليك قول انك قد كتبت في هذا الموضوع دون التشديد او الجام غيرك بأخذه وقراءته الّا ان يكون مجانياً ومتاحاً لمن أراد وليس له وحده انما لأي احد, وهذا من شيم الكرام ان تنشر لعلام دون تكبّر او ملام لكل الانام بحبٍ ووئام والله الموفّق. ثم ان كان لك اخ في الله قد كتب شيئاً فعسى تراجعه له او يراجع لك فعين الاخر ليست كعينك والنظرة الأولى لغيرك قد تعدل الف نظرة منك في ذاك الكتاب وفي مراجعته, فتقرأ له ويقرأ لك وتعرض ما كتبت على شيخٍ عالم وعارف بالله , وفي نشرها قد تنشرها على شكلٍ مقالات في جريدة شرعية او في مجلّة او ان تنشرها بطباعة القليل منها على شكل كتيّبات

صغيرة فهذا انجع فتبيعها او توزّعها وقد يساعدك بيعها على طباعة غيرها فتصير دورة تبيع فيها وتطبع مرة أخرى وكذلك, ويمكنك ان تنشرها على شكل كتب رقمية على المكاتب المجانية او ان تبيعها ولكن الأولى ان تنشرها مجاناً ولو بعت منها القليل في البداية فلا بأس فهذا حقك. والله تعالى اعلم.

الاخذ الفردي والجماعي

وهو الدواء في اخر الزمان, لكثرة الشكاوى من النفس والناس, وصعوبة المخالطة, فترى اكثر الملتزمين لا يجتمعون في الناس الّا لضرورة او حاجة, فهنا يأتي كلام النبي ونصيحته النبوية بالبقاء في عزلة واعتزال الناس في اخر الزمان, وقال صلى الله عليه وسلّم عن افضل الناس يومئذ, وهو رجلٌ قد اعتزل في شعبه ليكفي الناس من فحشه, فهو فيه فحشٌ لكنه من طيب معدنه لا يريد ان تشيع الفاحشة والفحش في الناس فاعتزلهم ,فكان له القبول عند الله عز وجلّ لأجل حبه الخير للناس. وقد لا يبيت احدنا الّا وقد عمل طيلة النهار او طلب العلم او

صلّى الخمس صلوات في المسجد فلا تقترب العشاء الاخرة الّا وهو منهكٌ فيبقى عند اهله وابنائه ولا يفضّل الخروج. وكذلك في السهر والسمر فلا يجوز ذلك خاصةً بعد صلاة العشاء إلّا لصلاةٍ او ذكر او ما يشابهه ويقارنه, ولكن اكثرنا لسنا من الملتزمين للأسف وهذا ما يجعل الأكثرية يمضون ليلهم في حفلةٍ صاخبةٍ او جلسة غير حميدة او يخالط النساء وينسى احسانا صلاة الوتر او القيام ان كان يصلي اصلاً, فهؤلاء لا تسأل عنهم يومئذ, فهم كالانعام بل هم اضل. فهنا تكون المجاهدة للنفس بمخالطة الناس, قال النبي صلى الله عليه وسلّم في ذلك:[28]"المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم", وكذلك العمل فقال النبي في من كان يعمل وينفق على أخيه واخوه كان عابداً ومجتهداً في أمور دينه فقال النبي ان اخاه افضل منه او كما قال النبي صلى الله عليه وسلّم. ولكن في امر المصلحة فحينما نعتزل الناس خاصةً في زماننا وربما قصد النبي ذلك في زمانه لشيوع الدين وسواده فيهم, فكان الاستثناء في طلب علمٍ او كتابةٍ

---

[28] ابن حجر العسقلاني-بلوغ المرام-اسناده حسن-451

وتصنيفٍ في علمٍ من العلوم, فهذا جائز على ان تكون له وجبة بمخالطة الناس على الأقل في صلاة الجمعة, ومن

الائمة من اهل التصوّف من كان في عزلةٍ دائمةٍ فلا يخرج الّا لصلاة الجمعة واضعاً خرقةً على رأسه حتى لا يرى الناس فكان يصلّي ويشتري بعدها المعلبات لكل الأسبوع فيرجع لعزلته, فوالله هو خير الصنيع وعملٌ مؤدٍ بإذن الله الى اعلى علّيّين, ولكن الكتابة أولى او الاخذ, فالاخذ والعطاء أولى من العبادة, لقول النبي في الحديث الصحيح في تفضيل العلم على العبادة في اخر الزمان كما تفضيل العبادة في زمانه صلى الله عليه وسلّم على العلم.

ثم ان هناك اداب للطلب الفرديّ, اوله ان ينوي العبد طلب العلم واعتزال الناس في وقت طلبه متوجّهاً لله تعالى بقول: نويت طلب العلم واعتزال الناس لله تعالى امتثالاً لأمره تعالى بسم الله الرحمن الرحيم-في نفسه وقلبه- وهذا شور احد أئمة السلفية بظني انه ابن عثيمين فقال في ان هذه الصيغة هي افضل الصيغ للنية وعقدها. ثانيه ان يكون له وردٌ من القراءة او مشاهدة او سماع التسجيلات ثابتٌ الذي يجد به بعد فترةٍ ومع المداومة الحلاوة واللذة الشيء الذي يؤنسه ويعينه على طلب العلم ومجاهدة

نفسه. ثالثه ورد حفظ يومي ولو شيء قليل فمع الوقت قد يصل الى درجة عظيمة من الحفظ كأن يتّصف بعدها بأمير المؤمنين في الحديث او حافظ لكتاب الله او حافظ للحديث وكله خير. رابعه تأدية الواجبات للوالدين او الاهل والابناء بالانفاق عليهم وتفتيش حالهم والسؤال عنهم دون تقليل مال عليهم او شح في المعاملة او جفاء لهم لأنه قد اعتزل الشيء الكثير, فوجب عليه التوفيق بين العزلة والعائلة. خامسه مراجعة ما قرأه قبلاً والعودة لما قد انهاه وجعل ورد مراجعة حتى يترسّخ العلم في عقله ونفسه فيتمكن منه اكثر, فيمكنه جعل الليل او ما قبل النوم فترة مراجعة ولو كانت قصيرة حتى لا ينسى, فمن اهل القراءات الذين قرأت عليهم قد حدّث عن أيام حفظه مع رفاقه أيام الشباب لكتاب الله, فقال:كنّا نحفظ نصف القران وعندما نحفظ نصفه الاخر كنا ننسى النصف الأول وهكذا مع الأول والثاني حتى فتح الله عليهم واعطاه وررفاقه ما أرادوا بالتمكّن من حفظ جميع القران وتثبيته, فكتاب الله كالابل المتفلّتة بحسب الحديث كلما تركته افلت منك ووجب مراجعته وتثبيته.

هذا في الفردي من الاخذ ,امّا في الجماعي منه, فوجب اولاً النية بالقلب دون اللسان ودون النية الجماعية فهذا لا

يجوز فهو ليس كالذكر يمكن ان يباشر به جماعةً, ثانياً الورد اليومي الثابت قراءةً وحفظاً, ثالثاُ مراجعة الافراد بعضهم لبعض فلا يترك صاحبه قبل الانتهاء من كل ما حُفِظ يومها, وليشجعوا بعضهم فهذا معينٌ على الحفظ والقراءة هذا ان حفظ كلٌ لوحده في مجموعات مجتمعة على هذا الامر الطيّب, ولكن ان كان الاخذ من شيخ, فتجب النية لطلب العلم, ومراجعة الشيخ لهم كل فترة امّا باختبار او امتحان او شفهياً والشفهي منه افضل حتى يكون هناك تفاعل ولا تكون المادة نظرية بحتة فيطبقها من علمها مع الوقت وما قالها الطالب بلسانه كان الأثر اكبر وقد يتذكر تلك المادة بشكل افضل فيما بعد. ثم اكرام الشيخ المعلّم والمربي بهدية كل فترة او بإكرامه بطعامٍ او حلوى او ما يشابهه, ووجب التعارف فيما بينهم وتوطيد العلاقات, في أمور الدنيا ترى الناس متمسكين في امر التعارف فكيف بأمر اخروي. وليراجع ايضاً الافراد المتعلمون لبعضهم فهذا يجعل بينهم المودة وتحمّل المسؤولية في سبيل توصيل العلم ومنه فيستطيعون ان يجعلوا احدهم يلقي تلك المادة ,كل فترة ينتقون واحداً يلقي عليهم الدرس ولو اقتطعوا من الدرس اوّل ربع ساعة فهذا مبارك. والله تعالى اعلم.

العطاء الفردي والجماعي

ففي الفرديّ من العطاء فيمكن ان يكون على عدة اشكال وكلٌ له ادابه وواجباته. فأوّلاً قضية التدريس, فهي مرتبطة بشكل كبير بالأخذ, فالمربي يدرّس وانت تأخذ, ويمكن للمعطي او المدرّس ان يأخذ من استاذه او ان يفوقه تلميذه بعد فترة بوتيرة اخذ اكبر واغزر من تلك التي لدى المربي, فقد فاق من الفقهاء معلّميهم وهم من المشهورين ذوي المذاهب المتبعة والمتخذة, وقد كان لهم حظٌ من التجديد في دين الله على رأس الأربعين او المئة من كل حقبة, فجدّد اهل العلوم الاصلية تارةً واخرون بالعمل الميداني والسياسي واخرون بالحديث وتصحيحه واخرون في عصرنا بالذكر والمدح والمديح وقد ذكرناهم في موضوعٍ سابق وفي كتب أخرى. ففي العطاء الفردي بطريقة التدريس وجب على الأستاذ ان يتحلى بالصبر والتأنّي وان يمرر المادة بشكل مفهوم ولو احتاج الى ضعفي ما خطط له من الوقت, وهذه افة العصر, فترى من يدرّس يختصر حتى لا يغلبه الوقت فيخسر الطلاب الكثير, ففي هذه الحالة امّا ان يزيد المربي من الوقت فيمرر المادة بأريحية او ان يجهل الدرس الإضافي في التقوية وتمرير ما بقي من المادة, فإن كان الدرس مسجلاً

كان احوط وافضل وانجع في سبيل عرض كل المادة, ويستطيع الزيادة بأمر الطلاب بالمرور على المادة المقررة الاصلية مع المضافة للتتميم ومن ثم الإضافية للتقوية فهي ثلاثة مراحل وجب على المربي ان يتّبعها ويعمل بها دون اختصار او تقليل للمادة فهذا واجب وعسى لا يتأثّم بكتمان العلم وويل لمن كتم العلم فلديه مقعده من النار وعذابه في الاخرة. وإن لخّص الشيخ المربي المادة بكتاب او بوريقات لكان خيراً كثيراً واثراً واضحاً قد يغيّر في نفوس ومستوى الطلاب الشيء الكبير والملحوظ وقد كان هذا النهج أيام التوجيهي لدى بعض المدرسين وقد كان الامر ناجحاً وناجعاً وقد اخذنا ما اردنا وزيادة, فيمكن ان يسمّي الشيخ المادة للطلاب في درس او جزءٍ منه ثم يشرح في القسم الاخر من الدرس او اليوم ويمكن تخصيص يوم للتلخيص واخر للشرح مع إعطاء المهام بالتحضير وبقول الرأي في هذه المادة وما استفاده الطالب مع تعقيب الشيخ فبهذه الطريقة نجعل الاستقلالية في الطلب وفقط بهذه الطريقة ان كانت من الشيخ مباشرةً او من الطالب باجتهادٍ منه, فيستطيع الطالب التفوق على شيخه وهو ليس منتهى ما نريد انما نريد ان تصل المواد العلمية للطلاب والّا نتسابق بها, فمن سابق العلماء-بقول الشيخ محمد حسان المصري- رمي به في النار, فكان

يقول في دعائه: "اللهم لا تجعلنا جسراً يعبر عليه الناس الى الجنة ويلقى به في النار". فهذا بالتدريس مع شيخٍ مربٍ ويمكن ان يجتمع الطلاب فيدرسون ما استطاعوا مع تمرير ما فهموا على الشيخ فيساعدهم في الفهم والّا يكون الشيخ هو الكتاب فقط فهذا غير ناجع في امر العلم والتعليم.

امّا في العطاء من قِبَل الشيخ تصنيفاً وكتابةً فقد اسلفنا قبلاً في ذلك, ولكن يختلف عنه انه هنا في هذا الصنف هناك مادة وجب تمريرها وتعليمها وعلم معيّن لا وعظاً ولا حكمةً قد نضيفها الى العلوم, فهنا وجب التدقيق والتخريج للاثار من الاي والاحاديث, وتمرير المادة المكتوبة على شيخٍ ولو لم يفق الشيخ الكاتب والمصنّف للمادة علماً وعقلاً, فالذوق قد يتغيّر عند عرضه على اكثر من شيخ فيحسّن الكاتب ممّا كتب بالشكل الكافي والمطلوب. وامّا إن كان المصنّفُ طالباً كأمثالنا او طويلب علم فوجب التدقيق اولاً ثم العرض على شيخٍ اخر والتخريج والتحقيق ان قدر على ذلك من غيره من المشايخ, وان يبدأ حياته المهنية بالتصنيف بتوزيع ما كتب ونشره مجاناً عسى يلقى قبولاً بين الناس فيكتب ويزيد في كتابته ما يفيد وما يضيف الى المكتبة الإسلامية

النوع واللون الجديد في طرق الكتابة والتصنيف ممّا يفيد ويسهّل طريقة طلب العلم بمادة ابسط لكنها مفيدة. ويمكن الانتقال الى النوع الجماعي في هذا الصنف –أي التصنيف-فيجتمع اهل العلم او طلابه على كتابة الكتب جماعةً بجعل لكلِّ واحدٍ منهم نصيباً في تأليف الكتاب, وهنا وجب توزيع المهام, فكلٌّ بما علم وما عرف واما قد افلح وفتح الله عليه, فتحقيقٌ وتخريجٌ وتدقيقٌ لغوي وغيره من مهام الكتابة والتصنيف. ويمكن ان يجتمع المدرسون على تمرير مواد بشكل جماعي فيتكلم احدهم جزء من الدرس ويكمل الاخر ما بقي, ويمكن تقسيم المواد بأن تكون كل مادة لمن اتقنها وهذا ما عليه اهل العلم والتدريس, ولكن يمكن ان ينفرد وهذا من الفرديّ منه الشيخ المربي بكل العلوم كأن يكون شيخ طريقة او شيخ مربي او معلم مدرسة او معهد او أي مؤسسة تعنى بالتعليم.

وهنا يكمن السؤال: هل الطريقة الفردية بالعطاء انجع من الجماعية ام العكس هو الصحيح؟, فنقول وبالله التوفيق: فإنّ التأليف له خواصه وخاصياته بأن يتركّز التفكير للكتاب وهذا مما يضفي التركيز للمادة ولعقل القارئ, ولكن غزارة المواد وعصف العقول كما يسمونه يضفي

التنويع والاكثار من عرض المواد والعلوم ممّا يترك للمتعلّم الفسحة بقراءة ما اجاد او جمعها كلها بقراءتها كلها وتعلّمها وهذا كل خير, فبحسب المستوى ,فليبدأ المتعلم والقارئ بقراءة ما انفرد به الشيوخ فمع الوقت يتفرّع وينتقل الى القراءة للجماعة من الكتاب, ومن تصفّح وعرف الكتب وقرأ ولو القليل من كتب الشريعة عرف انّ ما اجتمع عليه المشايخ والمصنفين كان ذو مادة اغزر واصعب واجمع واكثر تفرّعاً ويكون هذا في التخصّصات, فإمّا ان يكون التخصّص واحد فتكثر المادة او ان يخصّص كل متخصّص ما اجاده وما افلح به. اما في امر التدريس فوجب الانفراد في كل مادة الّا ام يكون التناوب في الوقت, فلا ينتقل المدرّس الثاني او الثالث او اكثر بعد الأول في نفس المادة والعلم حتى ينهي الأول فيعطي كل ما لديه بفكر موحّد دون التشتّت والتفرّع, ثم ننتقل الى التالي ثم من بعده. والله تعالى اعلم.

إعطاء دروس ووعظ

والوعظ غير التدريس وغير إعطاء الدروس المنهجية, فمن المشايخ من ينتظر فتح الله عليه من خلال عدم التحضير حتى في خطب الجمعة والدروس الافتتاحية في المعاهد التعليمية وفي الجامعات وغيرها وفي المناسبات وغيرها. فالوعظ ذو بضاعة كثيرة ووفيرة, حتى انه في معظم الحالات التي يخطئ الواعظ بها لا يؤاخذ وقد اشتهر الوعاظ في بعض الأحيان بخلط الحابل بالنابل وببعثرة وعدم الدقة في قصص او أسماء حتى انهم لا يذكرون الاسم للشيخ او الإمام او حتى الأماكن وبعض التفاصيل وما الى ذلك. ولا بأس إذا ما كانت الفكرة قد وصلت ولا يشترط التدقيق فهذا ليس علماً يمكن ان يدوّن-رغم تدوين بعض الاخوة في المواعظ وما شابه- ويشترط توصيل القيمة والفكرة في هذه الحالة. قد يأتي من يقول في انّ ذلك لا يجوز, فنقول: ما دام الواعظ لم يتعمّد ذلك, وإن كان قد اختلط عليه الامر او الموضوع وجب عليه الّا يذكر تلك النقطة والّا يتفرّع فيها ولا يدقّق او يغوص فهذا من عمل الكذابين, ولا يجوز التعمّد في التوسّع في الفكرة اذا ما نقصت أمور وتفاصيل مهمه قد لا يكتمل ذاك الموضوع الّا به. ومن احبابنا من اهل

الريف والصعيد وغيره ممّن يقولون اللفظ بغير ما هو عليه فيتغيّر الإسم, وانما هم أرادوا ذكر الطيّب والحسن من الأمور فمن هو غير ملم بالعلم والدين والشرع قد يختلط عليه الامر, فوجب تصحيح الواعظ بعد الدرس على انفراد بطريقة لطيفة وحسنة. فالوعظ ان اردنا الحديث عنه قد لا ننتهي وهو باب كل محب واكثر المتحدثين بالدين والشريعة هم من الوعاظ الذين المّوا بشيء ولو بسيط بالدين الحنيف, فأرادوا الإفادة والإستفادة ممّا عرفوا وارادوا بكلامهم ذاك ان يفيدوا ويعطوا وما ذلك عن اهل الخير ببعيد, ولكن برأينا وجب على كل من أراد –الوعظ حتى- ان يدرس ثلاث سنين كاملات في معهد او جامعة او على شيخ ان لم يكن من اهل التوجيهي وممّن قد تخرّج من المدارس ودرس الدراسة المنهجية. وإنّ مشايخنا في مصر وغيرها من البلدان الذين نشأوا في مدارس دينية وشرعية تراهم يعظون الناس منذ نعومة اظافرهم, فذاك الشيخ محمد حسان المصري وهو من اهل السلفية المباركة اهل الحديث, فأخبر في احدى دروسه –ويمكن انه قد اخبر اكثر من مرة- انه حين كان صغيراً يافعاً كان ينتظر الناس حتى يخرجوا من المسجد, فيعتلي المنبر ويثني على الله ورسوله ويصير يخطب مع نفسه في أوقات

الفراغ, وقد كان ذو لسانٍ طيّبٍ منذ ان كان صغيراً, وفي قناته وقنوات السادة السلفيين فلهم من البرامج للخطباء الصغار, يأتي بها الطفل ويبدأ بالخطبة والقول والكلام في الله ورسوله الشيء الذي قد يفتخر به كل مسلم وهو من مفاتيح الخير والرشاد لنا ولهم, ونرى في الشبكة وفي مواقع التواصل من يسألون الأسئلة الشرعية في الطرقات ويجيب عليها اهل الخير فيعطونهم الهدايا والجوائز, وقد اكتشف بعضهم العلماء الصغار والكبار والقرّاء الذين لديهم الموهبة والهبة من الله تعالى ما يعجز من هم اكبر منهم سنّاً واوعى منهم ومن هم من أصحاب الجاه والمال والمناصب, فأصحاب الجاهة في كل مكان في بلادنا وغيرها وأصحاب الوظائف الرسمية قد تجدهم من اكثر من يتكلمون في المناسبات وعند المضيفين في الاحداث الرسمية والغير رسمية الامر الذي يتعوّد ويعتاد لسانهم الكلام , وإن اختص أولئك بالكلام في الدين والشرع لكان خيراً, بعدما يدرسون الشيء المعين والمساعد لهم في ذاك الكلام.

امّا في امر الدروس, فلكل علم رجال متخصّصون به ويقال لهم اهل الاختصاص او التخصّص, فترى في كل علم من يستطيع الكلام به والتحدث فيما يخصه بالساعات

وإن لم يكن هناك داعٍ ليتوقفوا ويكفوا عن الكلام لما توقفوا, وترى اصحابنا الصوفية ممن يكثرون وفي كلامهم البركة الغزيرة الشيء الذي قد لا يتصوره عقل, وكذلك من اهل التبليغ ومن كل فرقة من اهل السنة والجماعة, والذي كان يفتخر ويتفاخر به بعض المشايخ دون تكبّرٍ وانما فرحا وفخرا بالله ويستدلون بقوله تعالى: "فبذلك فليفرحوا هو خير ممّا يجمعون"[29], وقد استشهد احد المشايخ في احدى الامسيات التكريمة وقد كانت لأخي الشهيد الإمام رحمه الله وتقبله في الصالحين, وكنا حينها عند اهل التبليغ فأكرمونا ايما اكرام وجادوا واجادوا واغدقونا بكرمهم والحمد لله. ولكن اهل التبليغ والفرق التي تفتقر الى العلم الدقيق والتخصّص, فهم اهل وعظ وليسوا اهل تعليم وعلم ممّا يحتاج له في سنوات الأولى من البدأ بطلب العلم, ولكن لديهم معاهدهم ولديهم من يشرف عليها من اهل التخصّص, وقد اختص اهل التبليغ بحل المشكلات بين الناس, وقد دخل فيهم –قبلاً والان بظني- من التكفيريين والخارجين على القانون وحتى المخابرات, وهي الخصلة التي لا يخلو منها فريق الّا من رحم ربي, وقد ترى اكثرهم من الصالحين في اهل السنة ورؤوسهم اصلح من الأعضاء في تلك المجموعات السنية الّا ان العيب لا يخلو منه شيء الّا الله

---

[29] يونس58

تعالى وانبياءه المخلَصين, فالله هو المتفرّد عن كل شيء وانبياءه ورسله كذلك وهذا اعتقاد اهل السنة والجماعة, ولكن هناك من يخلط بين الدنيا والدين ويطمع بالجاه , قالوا:

طريقنا للهِ

لا لاكتساب الجاهِ

وقد تغنّى بها اصحابنا الصوفية ولكن لا تخلو فرقة من التكفيريين خاصة الذين ليس لديهم النهج الخاص بهم وهناك إمكانية لالتحاق أي احد بهم دون التأهيل او الدراسة كأهل التبليغ والسلفية, وترى الاخوان المسلمين اهل عمل ولا يدخلهم الوشاة والجواسيس الّا في الوهلة الأخيرة بعدما غابت عنهم رؤوسهم في السجون وفي الاعتقالات وهناك من اعدم, ففي الفينة الأخيرة قد دخل والله اعلم فيهم من هم ليسوا اهل ثقة ولا يعتمد عليهم-الّا من رحم الله-, وفي الصوفية أيضاً قد دخل خارجون عن القانون الامر الذي يعتمدون عليهم به في أمور الدنيا والبيع والشراء وحل المشكلات والمعضلات, حتى بات الزعران هم من يحل المشاكل وليس اهل الحل والعقد. والله تعالى اعلم.

الاخذ الدائم عن الكتب

وهي خصلةٌ في كثير من الناس الذين لا يستفيدون من خصلة عظيمة كهذه, وآخرون لا يأخذون بشكل دائم عن الكتب ولكنهم يستفيدون بشكل كبير ولتعديدهم لطرق الأخذ وليس ولا يسمح المقام لذكر ذلك. فالذين يأخذون عن الكتب الاخذ الاستمتاعي والدنيوي وحتى العلمي الشرعي في سبيل المتعة فقط ومعرفة ما سيحدث من احداث دون عقد النية في افادة النفس والغير وفي سبيل انذار القوم اذا ما تفقهنا ونفرنا, فمثالٌ قريب عن الذين يقرأون ليعرفوا ما سيحدث كتوني بلير المسؤول الأمريكي السابق فقد سمعنا انه يقرأ الفرآن بعرف ما سيحدث دون الاستفادة منه أخروياً, فمثل هؤلاء لا يكون لهم العاقبة الحسنة والطيّبة, انما يجهدون انفسهم ويتعبون في القراءة ويشغلون وقتهم لأجل العلم الدنيوي ولا اخروية في ذلك الّا ان تعقد النيّة, وآخرون فقط للأثر الدنيوي كمن ذكرهم الله ان استقاموا على طريقتهم اذاً لما حزنوا ولما ارهقوا في دنيانا هذه وكل ذلك لان الاستقامة وقلبها النيّة هي أساس النجاة على الأقل في دنيانا هذه. وآخرون قرأوا بغية الإفادة والاستفادة, وتناقلوا العلم فصاروا اسياداً, وحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة, ومن هؤلاء –اكثره في الذكر وليس المذاكرة- يشعرون ما

ينقصهم لولايتهم عند الله ولتولي الله لهم, فحين يبتعدون عن علمٍ معيّن يشعرون بذلك, لا شعور من يريد التعلم, بل شعور من استأنس في قرب الله وقرب الله له, وهو القريب المجيب الدعاء, وهو اقرب من حبل الوريد, فيشعر هؤلاء المجاذيب-اسمّيهم مجاذيب العلم- كالشيخ الحويني نحسبه والله حسيبه المصري المحدث, فهو يقرأ في اليوم خمس عشرة ساعة ستدارس أحوال الرجال والجرح والتعديل وما يكتنفه من علوم, فهذا الشيخ أولى من غيره ممّن لا يجاهدون انفسهم-على الأقل في الذكر وليس في طلب العلم- ان يكون من مجاذيب الله والخلق, فهو سلفيٌ حنبليٌ لكنه قد قارب لا وبل قد فاق اهل الصفة والصوفية والإحسان في جذبهم, فنصر الله على يديه وفتح له ووفقه الى كثير من الأمور التي توجب المتعة والطمأنينة والسكينة في عالمنا هذا فضلاً عن المقامات في الآخرة والحسنات والثواب. فالنوع الأول تكون لذتهم وفائدتهم وهدفهم آني وزمني ووقتي ومؤقت, فهي ان قصد بها الله تعالى نال الخير كله ولجلب الى الخير وجلب الله له الخير حيث كان وحيثما كان الخير , ولكن أولئك المتسلقين, الذي يقال فيهم انهم جهلةٌ قد عرفوا قليلاً فوجب الحذر منهم, وهم الذين يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا في جنس عملهم, فلا تحسبنهم بمفازةٍ من العذاب, وانما نهلهم من تلك الكتب الجزئي والناقص والمؤقت

سيكون وبالاً عليهم لاستعمالهم تلك الطرق الشريفة والجليلة لأجل منفعة دنيوية مؤقتة. فذاك الذي يقال فيه عالم لأجل ارادته بذلك يأتي يوم القيامة مفلساً يكب في نار جهنم ولا يقبل منه شيء, وكذلك المجاهد والمنفق, فالمجاهد ليقال جريء, والمنفق ليقال جواد, وما العالم المتصنّع عنهم ببعيد, لا وبل له لجلالة ذاك الامر وعز صاحبه الذي لا يقترب منهم شيء منها وهو البعيد يومئذٍ عنها وهو اقرب منها للكفر يومئذ, يكون حاله سيّئاً اكثر من أي احد حتى المجاهد بماله ونفسه زوراً, فجلالة العلم وطلبه خاصةً في زماننا قد يبعد ويقرب الكثير عن الخير ومنه, قال تعالى: [30]"ولا ينبّئك مثل خبير", وهنا لضرورة المعرفة, فمن العارفين من سمّوا بالعارفين بالله وفي الله ومن الله والى الله, ولكن هناك ممّن تحتقر معرفتهم لعدم استغلالها, وقد قيل في العارف وجوب اللزوم لمعرفته في الآثار, ومن علم ولم يعمل كانت نتيجته بخسة ومعدومة من الخير في حال انه لم يرجع, فإن رجع كان به وإلّا لضوعف له الضرر والبؤس لانه

---

[30] فاطر 14

قد علم, وقد قال الشاعر:

ان كنت لا تعلم فتلك مصيبةٌ

وان كنت تعلم فالمصيبةُ اعظمُ.

وهناك من المشقة كما اثر الشيء الغير قليل, فبوصف مشايخ الحديث خاصةً وغيرهم من المتبحّرين, فإن ذاك متعبٌ لكن الأثر جميل ورائع بحيث لا تكف تقرأ عند بلوغك النشوة واللذة في طلب العلم حتى تلقى الله, ومنهم من بدأ بعشر ورقات في اليوم واخرون بثلاثين, حتى بلغوا الساعات الطوال, وللشيخ رجب ديب السوري والصوفي طريقةً, فقد أعطاه شيخه الورد في بداية مبايعته له نصف ساعة لا يتركها حتى وصل الى اربع ساعات يومياً لم يتركها منذ بايع, وقد كتب له التوفيق والسداد وشيوع خيره للناس حتى يومنا واليوم قد هرم وما زال يدرّس ويعظ الناس في مساجد الشام والحمد لله, فهو قدوةٌ, وجب علينا اخذ ما نأخذه عن مشايخنا عنه وعن كل جادٍ مجدّ, ومجاهد بالنفس والمال , ومرابطٍ لخمسه في اليوم والليلة, فكيف بأولئك المتنفّلين المستزيدين اهل الزيادة ولله لهم مزيد في الدارين, فرؤية وجهه في الآخرة بأثر ليس كمثله شيء, وهي لذة النظر الى وجهه الكريم حيث لا يسخط علينا بعدها ابدا, وكذلك مزيد الدنيا بالتقرب الى الله بالنوافل حتى يحبنا, فالله قد

احبنا في الدنيا لمزيدنا في الطاعة والتسليم, وكذلك لأجل عظمة ملاقاته في الآخرة فنرى وجهه سبحانه كالشمس في وضح النهار وكالقمر في ليلة البدر ليس بيننا وبينه حائل وهو السميع البصير. وعلى الآخذ دوماً وبشكل دائم فيجب عليه ان يبدأ بعلم واحد من العلوم بنصيحة الشيخ محمد حسان المصري السلفي, فقال بمادةٍ واحدة نبدأ بها ونأخذ العلم مادةً مادة, لكيلا تختلط علينا الأمور ولا تصيبنا البلبلات فنخلط الحابل بالنابل, وهي نصيحةٌ جليلة ولكن نقول:خذ العلم في بداية الامر بالاساسات والمستويات الأولى ولو اخذت ست مواد, فعلماء السلف قد كانوا يجلسون المجالس العدة في اليوم الواحد فنهلوا اقل سنين من اهل الاستاذية في عصرنا وقد نالوا من العلم الشيء الكثير والمبارك فيه, ففي الجهد والمجاهدة البركة والكرامة, وحدة الفكر والحذاقة والفراسة ولا تصلح مقولة ما يأتي سريعا يذهب سريعاً, وإن صحّت ففي السرعة –لكن مع الدقّة والتأكّد- في تمرير العلم زوال اثم ربما يأتي على صاحبها في كتمان علمٍ او معلومة قد سنح الله له في ابلاغها ولم يفعل, فالسرعة في التأدية هي إعطاء حق في مكانه ولأهله في وقته وزمانه وفي الآن المناسب , وخير المسرعين المؤدّون. والله تعالى اعلم.

دروس في مؤسسات

ومن الطرق للأخذ والعطاء ايضاً, ويقل فيها النبذ لأصالة ومكانة حيث يؤخذ العلم, فيتنادى أصحاب تلك الأمكنة بالاصالة في الاخذ والنهل وهم في اغلبيتهم صادقون يؤخذ منهم وإلّا لما كان فيها ذلك الشيوع والانتشار والقبول. وقيل في الازهر انه قد تغيّر وتبدلت مبادئه, وانه يفتي بحسب قول الإمام-وهو الإمام- فقال الخارجيون في عدم الاخذ منهم وهذا خطأ لأعتق الأماكن واقدسها أخذاً وعطاءاً. فقال الخارجون والمستقلون في العطاء والغير متمذهبون والذين ينادون في الكون من اهل السنة دون الفرق التي تكوّنها, فقد رأينا من علماء- وأقول علماء- في مقارنة الأديان وهم عجم, ممّن ساء حالهم في آخر أعمارهم وكانت حالتهم يحزن لها وبها لأجل فضلهم على الامّة, فهم كانوا جبالاً في مقارعة اهل الشرعات, وبظننا هذا لأنهم قد احتكروا الشرعة وادوا بنبذ-او كفر- نهج ومنهج تلك الشرعات السماوية, وربما لأجل علمهم الغزير في كتب السالفين من اهل الشرع, والتي هي اصلاً في معظمها منزلة من رب العزة سبحانه, فاختلط عليهم الامر في اخر حياتهم فكان ما كان من اللبس بأن يأتي ابليس اللعين او قرين ذاك المسكين, فيخلط ويجعل اللغط والغلط في عقل الأمور, كالغزالي

مثلاً ولكن الغزالي قد استطاع بفضل لله اولاً ان يخرج من ذاك اللبس, فألحد فترةً-ولم يذكرها في كتبه لحكمة هو ادرى بها- ثم نجى من ذاك اللبس بفضل الله واعتزل وكان في خلوةٍ يبحث فيها عن طريقةٍ للأخذ من الله والعطاء للنفس, فمن رأى في نفسه شحّاً كان أولى ان يبدأ بنفسه فتشبع دون اسراف فتكتفي, وكذلك في امر الآخرة, ففي آخر الزمان سينفرد اهل العلم بعلمهم, ويكون هناك شيءٌ من الشح في العطاء وغزارةً في الأخذ ويكثر النبذ, وقد رأينا والحمد لله ان الله قد جل لنا فسحةً في تلك الأمور وفي امر أولئك الضالين المضلّين الذين لم يكتفوا باحتكار الشرعة وانما في اسرفوا على انفسهم وقد قنطوا من الناس من اهل المناهج الأخرى, فاحتكروا المنهج-بغض النظر وليس هذا مقامنا في تبيين صحة او حيدة أولئك الجاهلين- فتنادوا بالعلم وظنوا انهم اهل صواب وما كانوا هم المتحدثين كان الطرف الآخر خطأً وليس ذا صواب وانّ ما تكلم غيرهم كانوا على خطأ وهم كانوا اهل الصواب, بعكس جملة الشافعية الشهيرة انه ما تكلّم كان صواباً يحتمل الخطأ وما تكلم غيره كان خطأً يحتمل الصواب, فهؤلاء الاقزام لم يدخلوا شأن الاحتمالية في مناظراتهم وجدالاتهم مع الناس ,فلم يكتفوا بالجدال وظنوا في انفسهم انهم الفرقة الناجية من دون المسلمين وعلمائهم. وهذا من لبس ابليس واقرا ان شئت كتاب

"تلبيس ابليس" وستجد فيه العجب العجاب وما لا يخطر بذهن احد إلّا ان يشاء الله. فلم يكتفِ أولئك المضلّون نتيجةً واثراً والصالون اصلاً وقالباً بظهور التكفيريين والخوارج واهل القتل والهرج والسرقة واستباحة دماء المسلمين واعراضهم وما ملكوا وانما ادخلوا بين اهل العلم-وما اكثر اسئلتهم حتى يظنوا بسيكولوجياً ونفسياً انهم على شيءٍ وانهم يستطيعون العطاء لأولئك "المساكين" بنظرهم وحتى يهدوهم الى سواء السبيل-ولكنهم في حقيقة الامر قد ادخلوا الجدال على المسلمين, ولا يعلم تأويله الّا الله ولا يعلم تفسيره الّا هو, وذاك عمر الذي كان يقرأ في سورة من القرآن فمرّ على آية "وفاكهةً وأبّا"[31], فقال: "ما الأبّ؟"[32], حتى رجع الى نفسه واعترف بانه وجب عليه التسليم وعدم الخوض, فنحن امةٌ قلنا سمعنا واطعنا, لا كفرق اليهود-منهم-الهالكة, او فرق النصارى الضالّة, او حتى المسلمين, فمن اهل الكتاب من يوحّدون وهذا كافٍ ليدخلوا الجنّة فكلمة التوحيد مفتاح الجنة بحسب الأثر, ومن قالها بأيِّ لغةٍ او طريقة او إن كان على ايِّ شرعةٍ توحيديةٍ قُبِلَ منه, وكذلك المسلمين, فمن وحّد فقد نجا , النجاة الانتهائية وليس بدايةً, فمن الناس من يدخل الجنّة ولم يصنعوا خيراً

[31] عبس31
[32] اخرجه الطبري في تفسيره24\120

قط إلّا انهم قد اقاموا خمسهم ووحّدوا الله اعتقاداً وليس ظنّاً, وفي الناس في آخر الزمان من الذين يقولون ان من اجدادهم من قال لا اله الّا الله ولذلك يقولونها, فهؤلاء لا نجاة لهم, والفرق فيهم وفي من وحّد اعتقاداً اليقين, ودونه كل امر واهٍ وهاوٍ وليس بذي يقين من اهل الشرعات كلها, فأولئك لم يثبتوا في القول –ثبتنا الله واياكم- في الدنيا فضلاً عن الآخرة, فكيف ينجون وهم من اهل الظن الواهي, وان شئت فارجع الى كتابنا "الفصل المبين في الظنّ الواهي والاعتقاد باليقين", وليس هناك كثيراً من اهل العلم من يؤلفون في هذه الدقائق, فجلّهم قد اتخذوا طريقة البحث العلمي-لضرورته ونحن شهود- فلم يكتبوا او يألفوا او يصنفوا في هذه الأمور الدقيقات والمهمّة لتبيين الحق من الباطل والشك من اليقين وما أراد الله وما أراد ابليس اللعين من الناس والله اعلم. ومن المزيد لليقين والموجب للاخذ وحتى العطاء في بعض الأوقات التطبيقية والعملية , فوجب بدايةً, في بداية اول ثلاث سنوات, ان كانت في الثانوية اوغيرها من درجات الطلب للعلم, وما بعدها-فقط هذه الثلاث- ان تكون في مؤسسة وان يشرف على الطالب استاذٌ او دكتور او بروفيسور او حتى صاحب دبلوم لكنه قد اغدق في الطلب والاخذ- ويقاس علم هؤلاء المعطون والمزوّدون لأشرف الأمور الا وهو العلم وطلب العلم الشرعي باستمارة او اختبارٍ

يؤكد اهليتهم لأداء هذه المهمة الحاملة للحق بأن يعطوه والواجب كذلك, وان يتعلموا هم ويأخذوه حتى من طلبتهم وكم من شيخ قد انتفع من علم طالبه وكم من طالب قد سبق شيخه ولا تطاول في ذلك او قدحٌ في أهلية ذاك الشيخ فإنما هي ارزاق من عند الله الخلّاق. والله تعالى اعلم.

الأخذ من الشبكة

وهي ما ذمّه بعض المشايخ من الصوفية والسلفية وحتى العوام, فقالوا في هبوط مستوى ومعدل الإنتاج العلمي ان اقتنيت الحاسوب ان كنت في أي سنٍ كنت خاصةً في سن امتحانات التوجيهي, وكذلك الشبكة العنكبوتية, فقيل من قِبَل الشيخ الحويني المصري المحدّث, انّ الطلب للعلم لا يكون مع وجود الشبكة, وانها غير جيدة وحسنة للطلب للعلم, وقالها بعض المتصوفة –الله اعلم بدرجة علمهم- ان الذكاء الصناعي وغيره من الأمور المحدثات ليست بسبيل لطلب العلم, ولا تؤدي الى الثمرة والنتيجة المرجوة والجيدة, ولا بدّ من طريقة النهل التقليدية من الكتب والتلقين وغيرها. فنقول: انّ امر الشبكة مختلفٌ فيه, ولكن هذا لا يمنع من اخذ الدروس عن المشايخ واهل

العلم عن طريقها, فهي تقرّب البعيد وتختصر على صاحبها ومستخدمها الوقت بالوصول الى درس الشيخ ويمكن إعادة المادة والعلوم ممّا يترك الأثر والبصمة ويجعل النتيجة التي قد لا تؤخذ في درس من الدروس الوجاهية. والآن بعد حدوث الحوادث والحروب وغيرها, فقد توفرت لدينا ولو درسنا في مؤسسات من الكليات والجامعات والمعاهد, فيمكننا دراسة اللقب والاثنين والثلاثة عن طريق الشبكة, فهناك من التطبيقات ممّا يغني صاحبها عن ضرورة التواجد في مكان الدراسة وتزيل عنه همّ وعناء وصعوبة السفر وهذا طيّب لا نراه في غيرها من الوسائل. وهناك من الإيجابيات والسلبيات الشيء الكثير ممّا يترك لنا فسحة ومجال الحكم على هذه الوسيلة ,فنقول: ما زادت وكانت السلبيات اكثر من الإيجابيات , وما كان ضررها اكبر من نفعها حرّمت حتى, وما أفادت الناس واستفادوا منها كان من الواجب النصح بها, وقد كان طلب الكثير من طلبة العلم عن طريقها وقد كان فيه الأثر والفائدة, ولكن كل احد وكل مارق يمكن ان ينشر على الشبكة الدروس والمواد التي قد تضر, ففي هذه الحالة وجب على الطالب ان يتحقق من المقدم للمادة, وبحمد الله فقد جعل الله السمت للنبي وأصحابه ومن تبعهم بإحسان, فأمكننا معرفة ذاك المقدم من شكله ومظهره, والسلف سابقاً لم يكونوا يقبلون

ويقدمون على الطلب من شخصٍ ليس سمته سمت النبي صلى الله عليه وسلّم او سمت أصحابه, وهذا كلام الشيخ محمد حسان المصري حفظه الله, فكان من الواجب قبل فحص إمكانية الاخذ عن اس شخص الحثّ على السمت وسنّة النبي والصحابة قبل كل شيء فهذا يساعد ويعين على معرفة من يؤخذ عنه ويسهّل ذلك, ولكن من العلماء من نصح بأهل الخير والحاثّين عليه وليس من اطال لحيته وحفّ شاربه ولبس القلنسوة او العمامة والقميص وقصّره, فقالوا ان نصاحب ونأخذ عمّن ينشر الخير وليس ممّن كان مظهره سنّيّاً بحتاً. فالخوارج سمتهم سمت النبي والصحابة ولكن لا يؤخذ عنهم ويقاتلون ويقاطعون حتى يرجعوا. فقيل في عدم خروج معظم من نعتوا بهذه الاوصاف وانهم خوارج, وقد احتج بعض الطلبة في حادثة عبد الله بن الزبير وخروجه على الحجّاج, وانّ اليوم معظم الحكام تبع للأنظمة الغربية, ولكنّ ذاك من السلف الذين لا يذكر في عصرهم ووقتهم وزمانهم الكذب وقد تفشّى الكذب بعد القرن الثالث –وقيل الرابع- فلا يجوز تشبيه عمل الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وتابعي تابعي التابعين ان اخذنا بقول القرون الأربع الأول بعمل المتأخرين من اهل زماننا, كما انّ النبي قد حثّ وقال ان العلم في زماننا أولى وافضل من العبادة كما ان العبادة في زمانه صلى الله عليه وسلّم أولى, العلم

في زمانه وزمان القرون الأربع الأول موجود ولا يوجد ما يخالفه تقريباً, فالعبادة أولى لضمان انّ العلم مصون والكذب غير موجود, ولكن في زماننا وجب تناقل العلم, وكما اخبرنا النبي انّ الدين ستنقض عراه عروةً عروة, حتى لا يبقى من يقول لا اله الا الله , وانّ كل يوم يأتي يكون اصعب ممّا قبله, وهنا, وجب علينا ان نتناقل العلم بشكل سريع ومتحرّى وبالطريقة التي تسهّل اخذه عن الثقات والعدول, فهذه الطريقة تسهّل وخواصها المفيدة اكثر من مضارّها, وفي النهاية فيجب على الناقد او الحاكم على وسيلة ان ينظر فيمن استخدمها اولاً, فإن صلح صلحت الوسيلة وصلح استخدامها, كمن اعطيته بندقية وقلت له بالحراسة او حتى ان يأخذ تلك البندقية وتكون له دون مساءلة ودون تقييد, فهناك من يقتل بها البريء وآخر من يدافع بها عن البريء, فهي وسيلة واحدة ولكن المآلات والنتائج والطرق مختلفة تختلف باختلاف طبيعة صاحبها. ومن الناس من يستخدم العلم حتى والصلاة والالتزام للتسلّق على رقاب الطيّبين والصالحين, فآخر الزمان وما ادراك ما آخر الزمان , الذي كون فيه الحليم حيراناً ,ويخرج الجهلة الضالين المضلّين ورؤوس الجهل,

فكم من شقيٍّ سعد بعد شقائه

وكم من حليمٍ اكلته فيما بعد النيرانُ

فالشقيُّ قد قوّم نفسه وما ملك

وكم لنفسٍ من غدرٍ منها لها وأدرانُ

فليس من حمل الكتاب قد عَلِم

وليس للطفل ان يملك اسنانُ

وكم من اناسٍ قد همّوا الى النجاةِ

وآخرين همّهم جاهٌ واموالٌ ونسوانُ

ولا يجوز الخروج ولو جلدت

فهناك مقاماتٌ ساداتٌ واعيانُ

وهذا لا يبرّر قتل المرء من حاكمٍ

فالله قد جعل في آخر الزمان ناجون ورعيانُ

يرعى غنمه وهي افضل مالٍ يومئذ

يفر بدينه في الجبال حيرانُ

فليس كلّ من يطلب ينال بغيته

ولكن للصادق في حشاه نيرانُ

والله قد جعل التوحيد مفتاحاً

به يدخل الموحّد جنانُ

والوسيلة تقاس بمن ملكها

وليس يبني البيت كل مالكٍ لأطيانُ

وليس يزيد الله من تقى دوماً

فليست بالطأطأة زيادة ونقصان

هذا قول عمرٍ لمن دخل الى المدينة

وهو العالم الذي بالدينِ رضيانُ.

والله تعالى اعلم.

النبذ

وهو عدم الاخذ لسبب من الأسباب, وحتى عدم العطاء, ففي الاخذ انت تأخذ لنفسك وفي العطاء يأخذ غيرك, فإن كنت ملمّاً بالفقه مثلاً في مذهبٍ معيّن نبذت في المذاهب الأخرى ان لم تلمّ بها, وليس في ذلك عيب او نقصان, ففي علم الحديث مثلاً يقال "كذاب", وكما قال اسيادنا العلماء ليس فيه من التنقيص لصاحبه انما هي كلمة ومصطلح لقوة الحفظ وضعفه, وليس شرطاً ان يكون من الوضّاعين ممّن يكذبون على رسول الله كنوح بن مريم, فربما هو من اهل الآخرة قد تخونه الذاكرة لمجاهدة وجهادٍ للنفس ولأجل التقلّل من الغذاء والشراب والنوم فعندها تختلط عليه الأمور في بعض شؤونه. ومن إخواننا المتصوّفة ممّن قال:

اه يا عذولي ذبّ اللوم

ولم ادري بحالي اليوم

او كما قيل, وهم من الخبراء في هذا المسلك والسلوك, تكون لهم البركة حتى مع تقللهم, ومن رزق قوت يومه فقد حيزت له الدنيا وما فيها كما اخبرنا النبي الكريم صلى الله عليه وسلّم, ولكن في موضوعنا انّ اهل الآخرة قد

ينسون ويلتبس عليهم ويختلط في حفظهم, فهم ليسوا بأهل ذاكرة متينة لأجل حالهم مع الله, فليسول بآمنين حتى ادنى الأمن, ولا يلتقي امنان, فما جعت في الدنيا شبعت في الآخرة, وما عطشت رويت, وما خفت أمِنت, وهو تباينٌ وتفاضل, وتناسب, فمن ملك في الدنيا يفقد ما في الآخرة ومن فقد ملك, ومن كان عمره قصير وهو عمر الصادقين المتقللين من النوم, وهذا له كذلك التفسير والسبب الطبّي ,فقلة النوم كما يقولون تقلل من العمر والله اعلم, فمن اسيادنا الشباب من اهل القيام, كانوا يقيمون الليل من الحادية عشر عند منتصف الليل الى ما قبل آذان الفجر , فأوذوا في الله ونصرهم الله بدعوة فدحر اعدائهم وكانوا ممّن ذاق ولمس حسياً لطف الله وقدرته ومعيته سبحانه وتعالى عما يصفون. فكما قلنا ودائما نقول انّ ملكة الحفظ قد تضعف مع التزهّد, وكذلك الاستدلال قد يضعف مع حفظ الكم الكبير من المعلقات والالفيات والنصوص والمتون , او كتاب الله حين يحفظ حفظاً تامّاً, فقد يتذكر من يعرف الآي فيستطيع اكمال الآية اذا سمعها, لكن الحافظ قد يلتبس عليه الامر فرغم تفلّت القرآن كتفلّت الدابّة-كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلّم في الحديث- فإنه كمّ لا بأس به من الكلم قد لا يفطن ويذكر كثير ممّا يستطيع ذكره الغير حافظ لكتاب الله حفظاً تامّاً, وكذلك كتب الآثار, فما قلّ حفظك او توسّط كان افضل وانجع

للاستدلال وانزال الأدلة على الواقع وغيره من أمور التوفيق والموافقة. فالنبذ يكون في العطاء منك او من غيرك دون حزازة وبشكل بائن ويجب اعلان ذلك فهذا علم, ومن الاخذ من الغير ,فإن عرفت ان المعطي او المتحدث او المقروء له او المشاهد له غير كفؤ او انه يهرف بما لا يعرف او انه يتحدث بغير فنّه وعلمه وجب التحذير منه مع تركه والتأكيد عليه بينك وبينه انه هناك أخطاء قد تكون عقدية او غير محبّذة في العطاء, فينبذ ويطلب من المعارف وغيرهم نبذه. فهنا نرجع الى المصداقية والأمانة, والعلم دين ووجب ان نعلم ونعرف عمّن نأخذ ديننا كما قال السادة العلماء, وفي علوم معيّنة قد يكون النبذ اقل اولويّة في حال انّ الجالسين مع المعطي كلهم علماء, فينبّه صاحب اللحن والخطأ مباشرةً, بالضبط كتصليح وردّ القارئ في الصلاة ولا حبّذا لو وقف وراء او بجانب الإمام رجلٌ حافظٌ الشيء الغير قليل من كتاب الله, هذا في الإمامة-كما الحرم المكيّ والنبويّ- وربما كون انّ السادة العلماء هناك في الصف الأول ليس تفريقاً بينهم وبين العامّة –رغم كونه مباح- إلّا انه شيء مفيد وناجع في سبيل تبديل الإمام في حال الاعياء او ردّه في حالة الخطأ والنسيان. ومن الواجب معرفة الواجب وما لا يصح بدونه كان واجباً كما يقول اهل الفقه او كما قالوا, فواجبٌ كون الجالسين علماء يتذاكرون على الأقل

أصحاب ثلاث سنوات في دراسة العلم الشرعي, فنقول ودائماً نقول , انه من الواجب تعليم أبنائنا بعد الثامنة عشر من عمرهم الثلاث سنوات هذه, فهي فاتحة لهم سبل الفلاح ومحققة للخير ومربية لهم, كما انه من تعلّم العلم الشرعي ثم انتقل الى علم الدنيا كان مستشاراً, وراجح العقل في أمور الدارين, وكم رأينا من احبابنا ,الذين قد حفظوا كتاب الله ثم درسوا أصول الدين ثم انتقلوا الى علوم الدنيا, فكان لهم ان يصلوا الى الدرجات العلا بإذن الله في الدار الدنيا وقد لمسنا ذلك فيهم ونجحوا وفلحوا وافلحوا وكانوا مستشارين لكثير من الناس, كما اننا وبعد انتقالهم الى الدار الآخرة قد تأكدنا من مراتبهم العليّة برؤيا صادقة والحمد لله. ومن شروط النبذ الّا يكون النابذ مبتدئاً او مستقلاً بدايةً في هذا الامر, وما حار من استخار واستشار, فوجب ان يكون هناك ما يماثل الاب الروحي للطالب او المستمع او المقيّد للعلم, فهو كالضابط-ولو كان واحداً فقط شريطة الّا يأخذ فقط عنه- والمعيَّن والمرشد للنابذ خاصةً إن كان مبتدئاً, ومن الواجب ان يكون المستشار في أمور النبذ والاخذ والعطاء ماراً عليه اقل شيء ست سنوات من دراسة العلم الشرعي –بأي تخصّص- ولكن ان يكون ملمّاً بأصول الدين المبتدَأ منها وان انتهى فخير, وقد قسنا امر السنين الست على الشيخ السنوسي صاحب العقائد والمصنفات الكثيرة, وإن اردنا

الاتّعاظ فلنتّعظ بمن مات, ومن كان على طريق العلم والطريق السديد, فالشيخ رحمه الله ورضي عنه, كان يدرس في كل فينةٍ ولحظة ويراجع العلم حتى اتمّ الدراسة المركّزة والمتتالية والغير منقطعة ست سنوات وكان له من المصنّفات الشيء المخيف والغير مستهان به والغير قليل وقد تخصّص في أمور دقيقة كالعقيدة فكان فارساً وخطيباً وإماماً رحمه الله. والله تعالى اعلم.

ضرورة النبذ

وهي عقيدة ,لا يهتم بحفظها الّا الصادقين العارفين, اهل الله وخاصته وخاصة الخاصة من اهل الذكر الدائم. فكان اهل القرآن من المؤمنين والمسلمين من خاصة الله, وكان اهل لاذكر المستديم والغير منقطع خاصة الخاصة والمختارين للولاية والأولى للحماية اهل الرواية والذكر والدراية, تفتح على أيديهم الأمور الخفيّات, فيفيدون ويستفيدون, ولكن ما سرّ نجاح هؤلاء الافذاذ, وما سر رحابة صدورهم واحسانهم وسعة علمهم اللدنيّ وغيره, انه النبذ في الوقت والمكان المناسبين دون مداهنة لجهلٍ ودون قصدٍ او بقصدٍ فيبيعون دينهم بعرضٍ من الدنيا قليل. ويختلف مع هؤلاء المحسنين الكثير, حتى من اهل

العلم والمحسوبين عليه, فيقولون بكره اليهود مثلاً, ويستدّلون بزويهم –أي اليهود- أيام النبي صلى الله عليه وسلّم في اضيق الطريق بحسب الحديث, ولكن المتبحّرين في العلم من اهل الاحسان قد فسّروا كون اليهود قد اخطأوا في حق المسلمين بقضية واحدة ومعيّنة حينها فاضطرّوا الى اضيق الطريق بأمر النبي صلى الله عليه وسلّم لوقت محدّد حتى يرجعوا, ولكن المتعصّبين واهل الضيق في الفهم والتفسير وحمل الأدلة على أسبابها وما نزلت فيه وما قيلت ,فكانت القسوة التي اعترت بني إسرائيل فيما سبق لطول الأمد فقست قلوبهم, ولا يجوز –احساناً- ان نظلم ذمّيّاً مهما حدث حتى يقتل من المسلمين او يرتكب الخطأ والذنب على الملأ ودون استتارز فقيل بشربهم للخمر بتقديسهم يوم السبت في بيوتهم دون الجهر , وان يلتزموا صوامعهم وبيوت عبادتهم ولا يجهروا بها, ووجب الاحسان الى كل البشر, فنحن لا نكره الكفار والكافرين انما نكره عملهم ومعصيتهم ,ولا يجب علينا حمل الغل في صدورنا وان حملناه فعلى العمل لا على الشخص وهذا معنى الآية الكريمة بشفاء صدور قوم مؤمنين, وفي الدعاء الّا نحمل الغل على المؤمنين, وانما كان على شخصٍ في الدعاء والوصف كان في الأشخاص لأنك ما حملت امانة الدين والحق والشرع كان كره الباغين لك لشخصك,

فقالوا:[33]"ابشرٌ يهدوننا", وقالوا ما قالوا في تصغير حال وقيمة من حمل الدين دون مراعاة –ونحن نراعي وهذا الفرق بيننا- كون العمل هو ما يكره وليس الشخص, فقلوبنا بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلّبنا كيف يشاء وهو القدير على ذلك. كما ان التخيير في التسيير وهو مصطلح نقول به دائماً, حيث انّ الله عند مسحه على ظهر آدم فقد ظهر اهل الجنة واهل النار فقال سبحانه:[34]"هؤلاء لهذه ولا ابالي وهؤلاء لهذه ولا ابالي", وما اجتمع الناس على اتقى قلب رجل واحد فسألنا لله ما اردنا ما نقص من ملكه شيء, وما عصينا على افجر قلب رجل واحد ما ضر الله شيئاً فهو الغني عن عباده يرزقهم ما شاء بتخيير لهم في أساس العمل ومن ثم يسيّرهم ,فهو الخالق الرازق المدبّر ذي الربوبية والالوهية لا يجاريه احد, قال تعالى:[35]"فليدعُ ناديه, سندعو الزبانية, كلا لا تطعه واسجد واقترب", وهذا في امر ابليس ووسوسته وواستفزازه بالقول وغيره, فعندما تركّز على امرٍ طيّبٍ من العبادة فتكثر منها يأتيك اللعين ابليس من كل الأبواب وهو الخبير في الاضلال وتضليل الناس, وهذا في العبادة وليس في الذكر ,فقد سلّم الله الذاكر وقال:[36]"ولذكر الله

---

[33] التغابن6

[34] ابن حجر العسقلاني-المطالب العلية-مرسل-3\281

[35] العلق17,18,19

[36] العنكبوت 45

اكبر", فاستثنى الله الذكر فلم تخالجه الوسوسة ولم تدخل فيه لعظم هذا الامر, كما انّ ابليس لا يحول بين المرء وخشيته لله والذاكرون والعلماء واهل الذكر هم الذين يخشون, فجعل الله اهل الذكر العلماء محصّنين بذكرهم وإرادة الله ومشيئته من الوسوسة ولو ركّزوا على عملهم وما كان ايمانهم شديداً الأمر الذي يترك فجوة في غير الذكر بالوسوسة والمقارعة. فهذه المقدّمة مهمّة في فهم الطريقة الإلهية في تمحيص الناس, وهو العمل الإلهي, ومن هذا المنطلق وجب علينا النبذ تمحيصاً للخير والشر ولكي نأخذ الخير فننمّيه ونعظّمه في انفسنا ونعمل على تنميته وتكثيره ,وندحر الشرّ بإذن الله لا نكترث له ولا نأخذ به مهما كان عقلانيَاً, فالدين ليس بالعقل لقول عليّ رضي الله عنه وارضاه رغم كون مذهب الامام ابي حنيفة عقلانيّاً الشيء الغير قليل ولكن كل الناس عيال على ابي حنيفة كما قيل. وانّ امر أصحاب المذاهب الفقهية لهو تطويرٌ للأخذ والعطاء وخاصةً النبذ, فهم نبذوا بعد العلم الغزير ونهله العمر الطويل كل ما لا يتوافق مع ذوقهم الشرعيّ, وما كنت صاحب ذوق او علم غزير وقد مشيت ومررت الشيء المحترم والمتعوب عليه فستنبذ بشكلٍ حكيمٍ –ليس اشتراطاً في معاداته ولكن يختار ما يراد بالدليل والاجتهاد في محلّه- فيصير لجدينا الرؤية الشرعية والذوق في علوم الشرع شتّى, وفي الفقه

والحديث خاصة ,علميّ الأساس –ولو كان علم الحديث أولى واهمّ- الذان ان اخترتهما تخصّصاً او حتى واحداً منهما لكان كفى, ولما اضطررت الى تعلّم كل العلوم, فكل الدين مستقىً من الحديث والفقه, وكل أمور الناس تعتمد عليها مهما علا شأنهم العلميّ او قل, وهما علميّ الناس المعتني بحياتهم اليومية والحالّ لجميع مشاكلهم وكل ما يهمّهم. وهنا نأتي الى نوعي النبذ وضرورتهما, فنبذٌ لأجل الاستزادة من علمٍ آخر وما يهم العالم, ونبذٌ لأجل دحره وتنقية الدين من الشر والخطأ, فنبذٌ لحلال لأجل شيءٍ اهم منه وضرورةً, ونبذٌ لحرام لا يجوز اخذه في أي حال من الأحوال. فما كان النبذ قريباً-ان وضعنا النبذين على محور حلال وحرام-من الحرام كان تركه اوجب, ومن النابذين او المُخلون لقلوبهم من الحرام والكدر ممّن افلح ونجح في النبذ الآخر وهو نبذ الحلال, فهم يتّقون الحرام وينبذونه, فتصير لديهم اللياقة ومرونة الفهم الذي يوصلهم بموجبه الى نبذ الحلال في العلوم لأجل ما هو اهم. والله تعالى اعلم.

تنقيح المنبوذين والمأخوذ عنهم

وهي طريقةٌ في الاخذ والنبذ, حيث تأخذ الحق من في الشخص ولو كان كافراً او مشركاً, فقيل ان الحق حقٌ ولو أخِذ من غير المسلّم لله. ففي تنقيحنا للنبذ والاخذ وجب ان نكون ذوي إلمامٍ وخبرة بشخص من تكلّم وان نعلم حاله واحواله. ففي النبذ يؤخذ من الثقات كل شيء إلّا ان يخطؤوا عمداً او بغير عمد, فالحق معلوم وبيّن والشر كذلك كما اخبرنا النبي صلى الله عليه وسلّم, ولكن في هذه الطريقة من طرق النبذ والاخذ لا يسمح التقليد الاعمى, ومن هنا صدرت ان لا يكون لك وتأخذ من شيخٍ واحد فقط, فتقدسه وتوقره فوق قدره, وقد اخبرنا النبي في عدم إعطائه صلى الله عليه وسلّم فوق قدره فهو بشر يصيب ويخطئ عليه الصلاة والسلام, ومن هنا يمكن ان يشرك المرء في إعطاء الشيخ اكثر ممّا يستحق فيصير كلامه مقدّساً لدى الطالب ويوازيه بالقرآن او الحديث او قول السلف من الصالحين, فمن أراد الاتّعاظ واخذ العبر فليعتبر بمن مات كما قالوا وهذا هو سبيل الرشد والرشاد لا شيء يزداد عليه او ينقص, وهذا نهج من كفر من اهل الكتاب يجعلون لله انداداً وارباباً يحبونهم كحب الله او اشد حبّاً ,والذين امنوا اشد حبّاً لله. وقد استغل هؤلاء الارباب الناس واموالهم واعراضهم حتى, فمن اهل الكتاب من يكنز الذهب والفضة ولا ينفقها في سبيل الله فستحمى

عليهم وتكوى بها وجوههم وجنوبهم وادبارهم, وسيلطمونها يوم لا ينفع مالٌ ولا بنوب الّا من اتى الله بقلبٍ سليم. ومن الخوارج من استغل اتّباع اتباعهم الاعمى لهم فاستباحوهم بعد الانتهاء من المصلحة المطلوبة منهم فيصيرون غير مريدين لهم لانتهاء المصلحة فيقتلونهم او يسجنونهم او يزجون بهم في العمليات الانتحارية التي ما انزل الله بها من سلطان ولا كان هناك نص نبوي او غيره يدل على صحّتها. فيقول الخوارج والمنتحرون انّ الصحابة هم اول من بدأ بهذا النهج الانتحاري, بقتالهم لعشرات الالاف وهم مئات, وهناك الكثير ممّا يدّعون كونه نهج الانتحارية وانه مباح, ولكن هيهات هيهات, افلا تتدبّرون القرآن ام على قلوبٍ اقفالها؟ وكذلك قول النبي فيمن قتل نفسه بحديدة, فهي تكوى عليه الى ابد الابدين, وذاك الذي قد افسد من جسده شيئاً متعمّداً فقال الله له انه لن يصلح ما افسد رغم رحمته له وعفوه عنه, فكل هذه الأدلة توضّح كون الخارجيين من اهل النار وانّ منهجهم غير قويم ولا يجوز مواددتهم حتى لو قبّلوا يدك ورجلك وبيّنوا انهم من المتواضعين واهل الزهد وغيره من الأمور ففي النهاية هم كلاب اهل النار ولا تجوز معاشرتهم ولو لأمور الدنيا كحلفٍ او غيره في الحروب وغيرها, فهم ليسول بأهل عهدٍ وانما ينكثونه في اول فرصةٍ لهم وقد فاقوا غيرهم من اهل

الشرعات الأخرى او من الملحدين والعياذ بالله. فهناك اهل الكتاب ممّن ينظر في توحيدهم فإن وحّدوا كانوا تحت حماية اهل الإسلام ويعطى لهم ويؤخذ منهم ولا ينبذون إلّا ان يكون فيما قالوا شيءٌ من شركٍ او كفرٍ او شيئاً قادحاً في الاستقامة. والخوارج لا يؤخذ عنهم ولا يتابعون, فهم اهل فتنةٍ يستدرجون الناس بألسنتهم وليس لهم في مسلمٍ إلّاً ولا ذمة انما بيننا القتل والقتال. فإن كان مسلماً أخذ عنه ما يؤخذ وردّ ما يردّ واكثر ما يكون صادراً منه خيرٌ بإذن الله لأنه على طريق الصواب يأخذ عمّن نأخذ عنهم ويعطي وينبذ الخوارج واهل الضلال فبهذا يكون قد عفيَ من التنقيح حتى يخطئ والله اعلم.

فكما قلنا لا يجوز ام يكون لك شيخٌ واحد, او ان تأخذ فقط عن الكتب والصحف, ففي هاذين الطريقتين شرٌ ومفاسد اكثر منه من مستفاده, ولكن يقولون انّ الصوفية يبايعون الشيخ الواحد, ولكن نقول انّ هؤلاء السادة يبايعون بيعة أولى ورئيسية للشيخ المربّي, ولكنهم قد يبايعون آخرين ليس على الامارة كما شيخهم الأول والكبير, وانما تكون المبايعة جزئية وغير ملزمة في الاخذ عنه ومن قال اخذت عنك فقد بايعك والله اعلم, وان في ذلك لكلام كثير قد لا يسعفنا الوقت في الخوض فيه ولكن نبيّن بعض ما يجب في البيعتين, الأولى والثانوية من شروط, ففي البيعة الكبرى وجب ان يسلك الواحد منّا مسلك شيخه وان يسأله

عن كل صغيرةٍ وكبير بعد قول الصيغة المعروفة للبيعة وهي موجودة في كتب العلماء من اهل السِيَر والتاريخ والتي اصلها البيعة لصحابة رسول لله بعده وما نفهمه ان بيعة النبي قد كانت بشكلٍ مباشر ولا يحتاج الّا لقول بايعتك او ما شابه, وامّا فيما تلا ذلك ,فوجب قول الصيغة المعهودة في البيعة وهي قد بدأت مع النبي صلى الله عليه وسلّم والله اعلم من حديث عبادة بن الصامت فقال: "بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله تعالى فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم", فكان هذا نص البيعة وهي البيعة الكبرى. وقد تختلف البيعة الكبرى فتجتمع في الشيخ والأمير, فيعاهد الشيخ على الطاعة ويعاهد الأمير على الرضوخ له ولحكمه. امّا في البيعات الثانوية كقول اخذت عنك, فيحتاج لها لتوثيق العهد مع الشيخ المعلّم والمعطي حيث تكون البركة في العطاء للطالب وتكون العلاقة وطيدة بميثاقٍ من الله –كالزواج- ولكنه موثق بين الرجال واهل العلم تكون فيه المبايعة دون صيغة وانما بصرير القلم والكتابة والعلم وتناقله. ويمكن فسخ المبايعة الثانوية اذا تبيّن لصاحبها الخطأ المكرّر واللحن في القول وغيره من مبطلاتها, فيترَك حتى دون الإذن. والله تعالى اعلم.

صبر النفس مع من يؤخذ عنهم

قال تعالى في كتابه العزيز:[37]واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه", فقال لنا ربنا وخالقنا وصانعنا وبارئنا بالصبر والاصطبار فقال سبحانه:[38]"واصطبر عليها", فقال تارةً بالصبر لعدم دوامه وانقطاعه في بعض الأحيان التي لا يكون فيها الصابر للنفس مع اخوانه, وقال اصطبر لأنه من الواجب المتابعة في الاصطبار وهو طبيعة حالها وطريقة عملها وكيف تصنع, فالاصطبار متتابع والصبر منقطع في بعض الأحيان. وقد قال الله في الذين يدعون ربّهم, وقد شمل الدعاء الذكر والصلاة في المسجد او في أي بقعة, ولكن الجماعة وكثرتها قد تزيد من اثر الدعاء فيقبله الله لكثرته والبركة فيه, وانّ الصبر يكون بمعاونة الناس الصابرين امّا الاصطبار فهو في الدين والشرعة والطريقة فكان الاصطبار بين المرء ونفسه, وبينه وبين ربّه, وقد يشمل الاصطبار لشدته وقوته الصبر, ولكنّ الاصطبار قد يكون دون الصبر والصبر لا يكون دون الاصطبار, فأنت في الصبر تحتاج للاصطبار لأنه قد حواه في معناه وما يعني. ومن الواجبات انتقاء من تصبر نفسك معه, فقد تحب الصلاة وتفضلها في مسجد دون

---

[37] متفق غليه

[38] طه132

آخر , وهذا من آفات آخر الزمان, ولكن للمرء الحق في الاختيار فيما اذا ضرّ مخالطة بعض المصلين في دينه وعقيدته, وقد قال النبي بعدم القفز عن المساجد بترك القريب وعمارة البعيد وهذا رحمةً منه صلى الله عليه وسلّم, وتسهيل على الناس في قضاء حوائج وحاجات دينهم, ولكن هناك معيار, فما استطاع المصلّي أداء الصلاة في مسجد ولم يضره قضاء الصلاة فيه ومن ثمّ المغادرة كان خيراً وواجباً عليه ذلك, فإن أراد الجلوس في مجلس علم او ذكر انتقل الى المسجد الآخر بشريطة صلاته في المسجد القريب, وإن كان الذهاب للمسجد البعيد بغية مجلس العلم مرةً او مرتين في الأسبوع كان مباحاً. ولا يجب المكوث في المسجد, ولكن اذا اردت صلاة السنّة فيه وجب عليك سنةً ان تتناجى بين الفريضة والسنّة والّا فالصلاة افضل في بيتك. وكم يجهل الكثير من ابائنا هذه السنّة ولا يحيونها الّا اذا اضطروا, فيعاتبون من لم يصلي السنّة مع الناس في المسجد وبغضب وعدم فهم وعقل عن الله ورسوله والعياذ بالله. والاصطبار أولى من الصبر, فكما قال الشيخ الحويني المصري المحدّث انك قد تكون وحدك ,فأنت الجماعة ولو كنت وحدك, وهذا تشجيع من اهل القياس والاجماع واهل الرأي في التشريع أنّك قد لا تستطيع الصبر للنفس مع الناس ولكن اصطبر ولك اجر الجماعة, خاصةً في

آخر الزمان, فقد اخبرنا النبي عن افضل الامّة انه رجلٌ معتزلٌ في شعبه ليتقي الناس فحشه او كما قال النبي صلى الله عليه وسلّم, فقال النبي في أفضليته وكون حاله افضل من اهل الجماعات, ففي آخر الزمان لا يسلم المرء من الآفات وحتى الكبائر ,وقد يصله غبارها ان لم تصله هي, ولكن ان يتوب المرء ويرجع الى الله, ففي وقتنا هذا, من يعصي ويتوب قد يعلمه الله التقوى والاتقاء فيعلّمه لأجل تقواه, فيفتح عليه ما لم يفتح على غيره من قليلي الذنوب لعدم اوبتهم وتوبتهم ورجوعهم الى الله مباشرةً, فهذا يقسي القلب لطول الأمد والعياذ بالله, وقد يحلل غضب الله بحسب الآيات. وفي تكوين الاصطبار والصبر, فإن الاصطبار كما قلنا يحوي الصبر , انه اوجب منه, وانك ما لم تستطع الصبر فاصطبر لوحدك, وما استطعت فعل المزيد في مجاهدة النفس بالصبر مع الجماعة كان خيراً ولك الاجر. ومن اسيادنا من كان لا يخرج من بيته ابداً فكان من اهل الاصطبار الكبار والواصلين, فكان يبقى في بيته معتكفاً وعاكفاً يقرأ ويصنّف حتى صنّف في الصحاح كلها بظنّي فكان له نتاجٌ علميٌّ غزير, فكان يخرج يوم الجمعة لأداء الصلاة ويزور اخته ويشتري سبع معلّبات, وقد كان يصوم الدهر رحمه الله. وآخر من اسيادنا الذين كانوا ان لم اخطئ على المذهب الحنفي وكانوا من الجبال والعارفين والعالمين

فيه, فكان يصلي الفجر في المسجد, فيذهب الى بيته فيصلي ثلاث مئة ركعة, ويبقى في بيته ليصلي صلاة الظهر فيقرأ ويصنّف ويطالع في كتب المذهب, حتى يحين وقت صلاة العصر فيذهب الى المسجد ليؤدي الصلاة, فيعلّم الناس فيما يبقى من الوقت دروساً في المذهب, رحم الله اسيادنا من اهل الاصطبار والصبر وجعلنا واياهم من اهل الخير في الدارين اللهم امين.

ويكون الصبر بالأخذ عن السادة العلماء والاصطبار بالأخذ عن الكتب والتسجيلات المصورة والمسجّلة, ولا يجوز في الاخذ-وهناك فرق بالصبر والاصطبار حين الأخذ-عن الكتب دون الشيخ وهذا من مولّدات وجاعلات الأخطاء, فمن كان شيخه كتابه كثر غلطه او لغطه او كما قيل, فإن استطعت الاصطبار بالأخذ عن الكتب والمسجّلات كان شيئاً عظيماً, ولكن وجب عليك حينها بالأخذ عن المشايخ في مجالسهم, ونستطيع القول في انّ الطلب والأخذ والصبر الغير مباشر بالأخذ عن التسجيلات قد يفي بالغرض, مع كتابة ووضع ملاحظات حتى يستطيع الآخذ ان يراجع الشيخ ,وقد تكلمنا عن الأخذ عن تطبيقات الشبكة بعدم الحضور للدرس والبقاء في مكان آخر وان يكون الأخذ من الشبكة العنكبوتية ولكن ببثٍّ مباشر للشيخ, ولا تسقط وجوبية ان يراجع الطالب شيخه بعد الدرس وفيما بين الدرسين. ويختلف كون

الصبر عند الأخذ واجباً بأيِّ صورةٍ كانت, فهذه علاقة لأمر جلل وامرٍ لا يتمّ الّا باللقاء خاصةً في الإجازات العلمية, فنحن نشيد بأهل الإجازات ونشدّ على أيديهم فهذا نسب العلم ولنا نسبٌ في العائلة والاقارب, ولكنّ نسب الدين –ان كان من الاشراف من نسل النبي وكلُّ النسب منقطع الّا نسبه صلى الله عليه وسلّم, وإن كان في الطلب للعلم- أولى واشرف من نسب العائلة. والله تعالى اعلم.

الخلوة وعلاقتها بالأخذ والعطاء والنبذ

وهي الفترة القصيرة كانت او الطويلة, المقتصرة على احدى العمليات التي نعنى بهى ,إن كانت اخذاً او عطاءاً او نبذاَ, او إن اختلطت العمليات باخذٍ كثير وعطاءٍ اقل منه او عطاء اكثر من الاخذ او نبذاً متوسّطاً-وهذا المراد- بحسب وتيرة الاخذ وكذلك لا ننسى نوع النبذ عند العطاء بألّا نعطي لكل احذ إلّا ان يكون موثوقاً وعاملاً بما قد استقبل من العلم والعمل. فكل ذلك في الطريقة التقليدية والغير مختلطة بالخلوة, فإن كان لك الوقت لها كان خيراً واكثر تمكيناً ووقتٌ مزيد بما يتوازى مع العمل والعلم الكثير. فمن الناس من المصطبرين الذين يكثرون من الاعمال السرّيّة والمخبّأة عن الناس والخلق, وكذلك

العلم, فالمصطبرون اكثر من الصابرين انفسهم مع الجماعة, رغم كون اهل الجماعات كثر ولا يمكن القول انهم اقلّ من العوام من المصطبرين إلّا لأن الله تعالى قد قسّم الناس الى أكثرية ,فكان اكثر اهل الأرض يضلّون من يتّبعهم وهم الضالّون, ولا يجوز تفسير كلمتي "ولا الضالّين" في فاتحة الكتاب على انهم فقط النصارى-او بالأحرى المثلّثون- فالاشراك لا مفرّ منه ولو قل, فقال تعالى:[39]"وتنسون ما تشركون", وهو الشرك المفروض في كل عمل, فإن قلّ محقه فعل الخيرات من الصلاة والذكر وطلب العلم, فكل انسان قد يكون في عمله الشرك الذي لا يصنع الواحد منّا عملاً إلّا وخالجه ذاك الشرك, ولكن الشرك درجات, فالشرك الأكبر محرج من الملّة ولا يغتفر, والاصغر يؤدي مع الوقت الى الأكبر, وينقص من خير العمل او طلب العلم, حتى انّ هناك من يتعلّم ويجاهد ممّن يقال لهم ان يدخلوا الى جهنّم بعد العرض, فكلّ العمل ان خالطه الشرك الأقل من الأصغر وإن لم يبلغ كونه اصغر الشرك فيكون اقل من الرياء ,فعندها ينظر الله تعالى الى العمل الذي تلى او حتى –ان عظُم- ما سبق, فإن دحره –أي الشرك القليل-كان مفازاً ومنجاةً لصاحبه, وقد تذهب تلك العلقات للعمل مع الصلاة على وقتها والذكر وطلب العلم, ولكن ان لم

---

[39] الانعام41

يصلّي-وهذا سرّ دخول من لم يصلِّ الى جهنم- فعندها لا يدخل الجنة ولو افتدى بملأ الأرض ذهباً او حتى اكثر, فالمصلي قد تدرأ الشرك الأقل من الأصغر صلاته للفروض فقط حتى, او الذكر وطلب العلم وتأدية وأداء ولو آية قد علمها, ولكن ان وصل الشرك الى الأصغر وهذا اكثر ما يخافه النبي على الأمّة بحسب الحديث, فعندها ان استطاع التغلّب عليه -وسببه استفزاز اللعين ابليس لصاحب العمل بصوته وغير ذلك- نجى, ولكن ان استمر دون التوبة وجاهد او تعلّم كان في موقفٍ قد لا ينجو منه بأيّ ثمن كان, فإن كان العمل غير الجهاد والعلم كان فيه نظر ,وهذا لجلالة وعظم هذين العملين, بالضبط كالاسلام والايمان والإحسان, فكلما ارتقيت ,كان من الصعب عليك المحافظة على الدرجة, فتعلو وتنزل في المقامات ويوازن الله لك ذلك-ان أحببت لقرأ كتابنا "القدر والعدل الإلهي-الاحتمال والموازنة" ففيه الخير والتبيين لذلك الامر- فالجهاد ذروة السنام, والعلم لها درجاتها, وكذلك الاخذ النبذ والعطاء. اما ان رجعنا لأمر الخلوة, فمن الناس من يكثر منها كما قلنا ووقد تحدّثنا في الذي لا يخرج الّا للجمعات فيزور اخته ويصوم الدهر ويشتري سبع معلبات لكل الأسبوع ويضع الخرقة على رأسه حتى لا يرى ولا يراه احد, وآخرون يختلون ولهم الاجر الكبير ولكنّ اكثرهم اقتصرت خلوته على الاخذ

والنبذ فلم يعطوا, وفي هذا خطرٌ كبير في التأثّم بالعلم, فإن لم يبلّغ ما علم كان وبالا عليه يوم القيامة, فهذا فليصنّف ما استطاع من العلم كأخذ وجبات من العلم فيأخذ فترةً, ثم ليتفرّغ للعطاء بالتصنيف ولينشر ما كتب وصنّف أيام الخروج من الخلوة, فهذا منفذه وحل تلك المشكلة الوحيد لأجل عدم التأثّم فيما عَلِم, وإن شاركه احدٌ في الخلوة علّمه وتعلّم منه, فكن العطاء متاحاً بطريقةٍ مباشرةٍ قد تحل له الكثير من العوائق والسؤال يوم الدين, وقد يستطيع العطاء المباشر ان قلّل من خلوته يوماً او يومين, فخرج للناس وطلاب العلم فأعطاهم ما يَسّر الله وما تيسّر, وان أراد ان يختلي اكثر, انتظر حتى يجمع من العلم الشيء الغير قليل ومن ثمّ يخرج بعدها الى الناس وهذا نهج اكثر اهل الخلوة, ولكن هنا, قد لا يستطيع ان يعطي لموتٍ او مرضٍ او موت احد اقاربه او عائلته ,فهناك من الواجبات التي لا يستطيع المرء العطاء حينئذ , فيستحسن ومن المحبّذ الخروج يما او اثنين في كل أسبوع او عشرة أيام كحد اقصى حتى يستطيع صاحب الاخذ العطاء بالشكل الموازن والغير ضار لا في الدنيا كنسيان بعض ما اخذه في البداية, او في الآخرة تأثّماً او شركاً اصغر او اكبر كلٌ وما يصادفه من الأمور والعوائق والدرجات والترقيات التي قد يعرضها الله عليه فلا يسلّم الّا لله وإلّا لكان من الشرك الذي لا مفر منه

فيغفر الله ما شاء لمن شاء متى شاء فالناجون من اهل العلم والعمل والمكبوبون على رؤوسهم ووجوههم يوم القيامة والعياذ بالله.

وفي اكر النبذ, فيمكن للمختلي ان ينبذ ما شاء وبالطريقة التي يريد لكن بحقّها- فعندها يمكن له ان يسمع ما شاء ويأخذ عن الكتاب والمسجّل ما شاء ومتى شاء, فعندها يستطيع تقسيم وقته كيفما يريد فيأخذ متى شاء ويعطي عند خروجه او بمرافقته في الخلوة, وينبذ كل ما لم يرد اخذه وعندها –خاصةً عند قلة الحجة والعلم- يمكن له ان يصفّي وينقّح ما ينبذ بالشكل الانجع والأفضل فلا يصادفه من قهر الرجال او التعصّب الاعمى والتقليد المنحرف والغير مبصر والغير موجّه فلا يقف في وجه الاخذ والعطاء شيء وينبذ ما شاء بفضل الله ومنّه, ولكن يشترط حينها مراجعة مقدّمي الدروس او من توفّر وامكن استشارته والرجوع اليه للنصيحة والتصحيح. والله تعالى اعلم.

الإشارات الإلهية

وهي اسرار بين العبد وربّه, ومتيحات ومانعات لأمور قد لا يصل المرء منّا لقرارٍ فيها إلّا باستشارة الإله, وعندما يأتي الجواب, يفرح العبد ان الله تعالى قد رزقه العلاقة والاخذ والعطاء معه سبحانه وهي عدة أمور او إشارات سنتكلّم فيها فيما يلي.

اوّلها ما يسمّى بال"حزقة", وهي قبض المريء او القصبة الهوائية الامر الذي يجعل الجواب على الفكر او السؤال الذي يدور في بأنه لن يحدث ان كان حدثاً او ان كان أي امر قد يدور في خيالك ونفسك. فقالوا في الصلاة مثلاُ ,انّه عند القبض او الحزقة لا تقبل الصلاة من العبد, ولكن مع التجربة فقد تجزّأت هذه الحالة فصارت في الامر الذي يدور في رأسك, وهي مجربة, قد تكون في أمور الدنيا المتعلّقة بالآخرة وقد تكون في أمور الآخرة بشكل بحتيّ وتامّ ومحض, فلا ندري ان كان حديثاً ولكن بما قد وصلنا ان النبي صلى الله عليه وسلّم قد قالها بصيغة انّ الصلاة في حال الحزقة لا تقبل, وقد مرّ معنا الحوادث والأمور التي حدثت حين بلّغنا هذا الأمر لرجلٍ مسنّ ,فقال في تعصّبنا وانّنا متشدّدون, رغم تصحيحه لنا في آيةٍ قد قرأناها من كتاب الله امامه, فهو في اصله

صوفيّ, ولكن المرض قد طغى عليه فلم يعد يصلي او يذكر الله وقد طعن في السنّ, وقد كان معنا مصلٍّ آخر من البدو, وقد وافقني الرأي إلّا ان ذاك العجوز لم يوافق وظنّ في تعصّبنا وتشددنا فهلّا يستجيب الى امر رسول الله ويريح نفسه, فعند العرض لا احد يفيده ولا يستطيع قول رأيه المنحرف عن دين الله وسنة النبيّ فليس له اليوم ههنا حميم وعندها لا يفيد العصيان والمشي بعكس التيار وسنة النبي صلى الله عليه وسلّم. وكما قلنا ففي اجتهادنا وتجربتنا ,فإن تلك الحركة والتأثير على الجسد والمريء او القصبة الهوائية تكون في امر واحد وجزئي, ولا تكون في الصلاة ,فلا تبطلها وانما تبطل ما ظنّه العبد والله اعلم. وامرٌ آخر وهو العطاس, فقد قيل بظننا في الحديث النبوي الصحيح انّ من كثر عطاسنا-وكلا الامرين الحزقة والعطاس لا يستطيع قولها او تشريعها الّا النبي صلى الله عليه وسلّم ولا قول بعد قوله عليه الصلاة والسلام في أمور حاسمة ومتعلقة بالله بشكل مباشر ولا كلام بعده- فهذا دليل انّ الله يحبنا, ومن عطس كثيراً فالله يحبّه, وقيل في الحديث انّ العطاس ثلاثاً وما فوق فصاحبه مزكوم واقل منها فهو غير مزكوم ولكن هذا دليلٌ على حبّ الله له. فطعن السقام ومرضى القلوب في امر العطاس, فقالوا انّ الدين الإسلامي-حتى من النصارى المثلثين من قالها والملحدون من الاشتراكيين

والشيوعيين وغيرهم- متعلّق بالجنس, وانّ اهل الله واهل الشريعة والشرع والدين لا يهمّهم الّا الجنس, وانّ الدين الإسلامي يعمل ومتعلّق بالجنس ولا يتعلّق بغير ذلك, فهؤلاء قد ربطوا بين العطاس الذي في بعض احواله قد يكون من النشوة الجنسية او الشعور بالحميمية او بامر قد جذبه من ناحية جنسية من زوجه او حتى غير زوجه, فنقول: انّ الدين الإسلامي خلقه الحياء وليس التعلّق بالجنس, وانّ المرء ما كان فيه طاقة اكثر خشع واستطاع استثمار تلك الطاقة بالوصول الى شعور لا يستطيعه أمثال أولئك الملحدين والمثلّثين, فهم فاقدون للإيمان والشعور والعلاقة مع الله, فقالوا جنس, ونقول طاقة, ولكن هذا لا يبيح ما اباحه بعض المنحرفين بالعلاج بالطاقة, فهي مجرّدة من الذكر والايمان والنور الإسلامي وهي غر مجدية وان كانت مجدية لكانت مؤقتة بالضبط كشهواتهم وما يرمون اليه من النزوات والشركيات وتعلقهم بغير الله تعالى, والله اعلم.

وتأثير آخر يبطل الصلاة الا وهو النفخ عند تأدية الصلاة فرضاً كانت وواجبة ام نافلة, فعند النفخ في الصلاة وحينها تبطل الصلاة, وقد عارضنا بعض العوام في ذلك, فقالوا انه إذا كان الشخص متضايقاً -ان كان مدخناً ام لا –في نفسه وتنفسه فيستطيع ان ينفخ ويفث في الصلاة, ولكن هذا منافٍ لهدي النبي صلى الله عليه وسلّم, فقد

وصلنا ان النفخ في الصلاة يبطلها وهو دليل على بطلانها اوانها لم تقبل, فعندها وجب على الشخص عدم المعاندة والتعنّت والتعلّق براحته والدنيا ووجب إعادة الصلاة, فإن كانت جزئية-أي النفخ –فخرج بعض الهواء وليس بشكل كامل وتامّ, فعندها ينظر, فإن كان في اوّل الصلاة اعادها , وإن كان في نهايتها اتمّها, وهذا لأن كل شيء نسبي وفي الميزان, فإن كانت النفخة التامّة تبطل الصلاة فالجزئية لا تبطل عقلاً ووزناً وميزاناً والله اعلم. وهناك إشارات يمكن تسميتها بالمفتوحة او المبسوطة والتي قد لا تترك المجال لصاحبها بالتوفّق والتوفيق في أمور الطاعة والشرع والدين, كمن يخرج الريح او حتى الأمور الأولى التي قد ذكرناها, فلا يستطيع الثبات, كمن شرب الخمر اربعا وتاب بعد كل مرّة, فهذا يجعله الله في طينة الخبال وهي في الدنيا شيء وفي الآخرة شيء آخر بشكل مختلف ويختلف بشكل كبير في تأثيره وماهيته, ففي الدنيا من شرب الخمر ثم تاب ثمر شرب ثم تاب ثم شرب ثم تاب ثم شرب ثمّ تاب جعله الله في الخبال وطينته, وقد فسرناها بحسب اللفظ انها خبلٌ –من الخبال- وهي طينة لغوص صاحبها فيها, فلا يوفٌّ لتأدية الفروض والصوم وغيرها من الأمور الواجبات فضلاً عن النافلة ,فيبقى في خبلٍ ينام منه عن الصلوات ولا يذمر ويبقى دون طاقة والتي يكتسبها غيره من الطاعات

والذكر والصلاة وغيرها, وعندها لا يوفّق –بشكل مستمر حتى مماته ,او انّ الله قد يرحمه فيوفّقه للطاعات فيما بعد- في الثبات على الطاعات لخبله وطينة الخبال تلك. امّا في الآخرة فهي وادٌ يعذّب فيه الناس, فاختلف البعض في كون الطينتين قد تكونان في العبد في الدنيا والآخرة ام انها فقط في الدنيا ام انّ الله تعالى قد يجعله في المفرّط في الطاعة الفرضية في الدنيا فيؤجله له ويستدرجه حتى يلاقي حسابه في الآخرة فيلقى العذاب, ولكن نقول: انّ الله تعالى قد يجعل الطينة والخبال لصاحبها في الدنيا ان لم يكن مستمراً في جحوده, فإن اصابته طهّر بشكل او بآخر من ذنوبه ولكن تقل طاعاته الامر الذي قد يصعّب امر محو الذنوب والخطايا وقد تزيد وتتكدّس عليه وتكون اكواماً لا بل جبالاً, ولكن ان تاب فقد يتوب الله عليه ويعفيه من هذا العقاب فالتوبة تجبّ ما قبلها , فيغتسل ويصلي ركعتيّ التوبة ويكمل بأداء الصلوات المفروضة ويزداد بالنوافل ما استطاع وبإذن الله سيأتي الفرج ولو بعد حين. وفيمن لم يعلم هذا الامر انّ الشرب والتوبة اربع مرات تجعل العبد في طينة الخبال ,فهذا يعفى من العقاب ان تاب والله اعلم. ومنهم من يجعل الله استدراجهم الى النار جاعلاً طينة الخبال في الآخرة كمن استمر في الشرب بعد المرّة الرابعة. والله تعالى اعلم.

النصح من المشايخ

وهي ما لا يستغني عنه معطٍ او آخذ او نابذ, تكون في كل لحظة قد تختلط الأمور على صاحبها ,وهي تختلف في العمليات الثلاث من أخذ ونبذ وعطاء. فإن كانت نبذاً وهي مبتدأ التخلية ,جعل رأي الشيخ ان كان ثقةً فوق الرأي الشخصي بالأخذ بالسبب والتفكّر ومن ثم الاستخارة بعد الاستشارة ,فعندها يبان كل شيء عن ذاك المنبوذ فيؤخذ من غيره ان كان ثقة ويترك ولا يجوز اخذ الباطل منه, فإن قال حقاً لا يضاف عليه شيء آخر لأن هذا من إلقاء الشيطان في روع الغير ثقة من الحق ويزيد عليه الكثير من الشبه والأمور الغير صحيحة او الغير دقيقة والتي قد تؤدي الى الكارثة بالجحود او الانكار على الحق او حتى إعطاء الباطل فيما بعد فيما بعد التحلية بالأخذ والعياذ بالله, فعندها لا تكون تحلية وانما غشاوة قد تتعاظم على صاحبها فتصير تغشية لا تحلية وعندها وجب الرجوع الى النبذ بالتخلية وبالاستشارة للشيخ المربي حتى لا تختلط الأمور من الشبهات او حتى الشهوات كالسلطة والرأي وغيرها. فالحق ما استراح له

قلبك كما الحديث, ولكن هذا ليس في كل الأحيان, رغم كون الحق بيّن والباطل بيّن, والطيّب مباح والخبيث محظور, ولكن هناك أمور قد تتعقّد فيما بعد فلا يصل صاحبها الى الجواب الشافي والكافي وانما يصل الى ما هو للايمان نافي فيصير صاحبه من الحق حافي ويغرّه الاجتماع وسواد الرأي والتلاقي والتلافي والعياذ بالله, فالأصل الاستشارة قبل العمارة, فلا يجوز البناء دون اهل التخصُّص, وما اقلّهم في زماننا, صار الكل يتكلّم في كل وايّ شيء دون رقيب ومراقب, الامر الذي صعّب الرجوع للحق, فقد اخبرنا النبي صلى الله عليه وسلّم عن هذا الامر وانّ الناس في آخر الزمان لا تستطيع الهداية ولا تصل لها فلا يعلمون مع من الحق ومن على حق وانما يتخبّطون, فيصبحون في كفرٍ ويمسون مؤمنين ويمسون كفاراً ويصبحون مؤمنين, بعضهم قد غرته الدنيا وآخر لم يفهم ولم يكن له شيخٌ هادي والعياذ بالله. فمن الآفات المضلّة لأهل الكتاب من الكهّان, مما أضلّ من تبعهم, شيء حقٌ قد يحدث او يكون فيما قبل, فيزيد الشيطان بعد القاء الشيء الواحد الحق في روع الكاهن –ولو كان اثنان او ثلاثة فبقدر الحق يتضاعف الباطل ويكون اكثف واغزر واكثر- فيظن من يستعجلون من بني آدم انه قد قال حقاً-وهو حق- ولكن الأمور تتطوّر الى الباطل فيما بعد وهذا الذي كثر من العلم لاهل الكتاب

قد اضل اكثرهم رغم كون الفرق الي تفرقوا عليها اقل ممّا قد تفرّقت عليه الامّة-وقد تكلم في الحديث بعض اهل العلم ان لم اخطئ كالشيخ محمد الددو الشنقيطي والله اعلم- ولكن كما قال النبي انّ علماء الامّة كأنبياء بني إسرائيل, فالعلماء يحملون ويتحمّلون ويأخذون الحق وينبذون الباطل بكل حركاتهم وسكناتهم والاهم انهم يدعون الى توحيد الله, الامر الذي كان رئيسياً واساسياً في الدين الواجب الا وهو توحيد الله مع الصلاة, ولم تكن الصلاة مفروضة في بادئ الامر لكنّ التوحيد هو ما كان والايمان بالانبياء والرسل ونصرتهم والاعانة على التوحيد. هذا في النبذ والأخذ, امّا في العطاء فمن الواجب ان يراجع احد المشايخ المتمكنين ما اعطي من التصنيفات والكتابات وما كتب من العلم وحتى خطب الجمعة, فما اجتمعت عليه الامّة كان فيه فسحة ولا يراجع الشيخ حتى يتبيّن امر مناقض لهذا المتّفق عليه من ثقةٍ مجتهد ويؤخذ بدليله, فإن طاب الامر كان وإلّا لرجعنا لأمر النبذ وعدم الأخذ وبعدها يتعذّر العطاء لعدم صلاح ما كان من الاخذ فلا يؤخذ ولا يعطى. وهناك فرق بين الحاجة الملحّة بين الاخذ والعطاء ولكن النبذ أولى حتى تتهيّأ أمور واحوال وظروف الاخذ والعطاء, فلا تأخذ دون الاستشارة في النبذ ولا تعطي بعدها فيما اخذت حتى تستشير, ويستشار في العطاء المرة والأخرى وتكون

الاستشارة في العطاء هي الثانية على الأقل فقد كانت هناك استشارة في الاخذ, ويمكن الاستشارة من اكثر من شيخ ويمكن إن كان الشيخ ثقة وفحلاً وجهبذاً يشهد له القاصي والداني ان يستشار مرة واحدة, ولكن في العطاء, لحساسية امره ولدقته ولخطورة كون العطاء غير مجدٍ فيخسر الناس اوقاتهم واموالهم ان كان في كتاب او تصنيف فعندها تسحب كل النسخ من هذا المكتوب وتحرق-لما فيها من كلمة الجلالة وذكر النبي والصالحين- ويذكر ذلك في رسالة معمّمة ويكون التحذير من عدم صحة خبر قد كتب او حديث او آية غير صحيحة, وإن لم يستطع إيجاد تلك الزلة وجب عليه عند طباعة-ووجبت الطباعة الجديدة والمكررة- النسخ الجديدة بكتابة ملاحظة وهذا ما كنا عليه وما زلنا عند كتابتنا لأثر عن عبد الله أبو النبي صلى الله عليه وسلّم فكتبناه عن النبي والعياذ بالله وقد كتبنا الملاحظة فيما تلى من النسخ المطبوعة, وقد اجتهدنا في البحث اولاً وبعدها توصلنا الى طريقة تبيّن الخطأ بالبحث في محرك البحث في برنامج الكتابة الذي استخدمناه, فأصلحنا ما كان والحمد لله. وعند التوقّف عن الأخذ قد يمكن التفرّغ الى العطاء-اقلها ست سنين متتابعة- فيستشار المشايخ والاسياد واهل العلم فيما يأتي من النبذ والعطاء. فقد تكلمنا في النبذ من الاخذ , وكذلك ينبذ في العطاء ان

تفرغنا او لم نتفرغ له, فلا يعطى كل احد, بالضبط كشروط القبول في الكليات والجامعات الإسلامية وغيرها, فلا يقبل ايّ احد, وهذا ما جعل من الناس مثل من كان له ثمانية عشر ولداً قد الحقهم كلهم في الازهر الشريف, وقد حذّرهم من عقيدته وتكلّم في ذلك احد علماء الازهر المعروفون, الامر الذي قد اثار ضجّة في الهجوم امّا على الاب وجماعته او على الازهر فكلّ ذاك شرٌّ مستطير لا يجلب الّا الفرقة والجدل, فقال الاب لأبنائه بكتابة العقيدة بعد حفظها-أي الازهرية- ورمي كل ما تعلمون جانباً وعرض الحائط وانه هو من سيعلّمهم العقيدة الصحيحة, فقال الشيخ المعلّق وتساءل لماذا قد يفعل ذلك شخص والذي قد جاد بترك أبنائه يدرسون في الازهر الشريف فهذا تناقض, وربما هي شهوة مكانة لما في ذلك من مكانة عند الدراسة في الازهر ومن الأمور التي قد تجعل الصلاحية والشأن وغيرها للدارسين في الازهر, فلا نقول ان الاب قد أصاب او ان الشيخ قد فعل, وانما نذمّ من تفرّق مع أخيه على شيءٍ يجعل الجدال فيزيد الفجوات بين الناس والعياذ بالله. والله تعالى اعلم.

من تاب في النبذ والاخذ والعطاء

فكلها موجبةٌ للتوبة ان كانت غير صحيحة وفي غير المسار الصحيح, فإن نبذ اهل الحق وكان من فرق الضلال والكفر والشرك, او حتى أصحاب الأخطاء المعدودة لكنها مخرجة من الملّة, وجب عليه العودة والاوبة والتوبة بشكلٍ فوري دون المماطلة, فقد يفتح ابليس عليه أبواب التمنّي والهذيان, فيظن في تأخير توبته انه سينوبه او يأتيه شيءٌ من العزّة او الفخر المزيّف او أي شيءٍ كان, فلا عزة الا بالإسلام ومن مشى الطريق الوعرة نابه منها اللعنات ان أراد الله ذلك او شيئاً ممّا يعلق والاثر المترتب على الزيغ وعدم الاستقامة. وكل الفرق الزائغة قد تتعلّق بشيءٍ من الحق ثم تحيد كما ذكرنا في القاء الحق الواحد او الامرين او الثلاثة روع الكاهن فيكمل طريقه بشكل معوجّ وزائغ فعندها لا كسب خيراً ولا اكسب غيره شيئاً قد يكون فيه او حوله رائحة الحق واليقين. وكل من نبذ الحق يبان في لحن قوله او في أمور قد يراها المستيقن ولا يراها غيره, كأثر كتابة "كافر" على جبين الدجال عليه من الله ما يستحق, فهذا في مصائر الناس وفي الأمور المصيرية والحتمية في

الاتباع, فعندها وجب الرجوع اولاً الى الحق والله هو الحق من كتابه والاحاديث القدسية وما سبقه من العلم ما وافق شرعنا, والى سنة النبي صلى الله عليه وسلّم وبعدها يبدأ يعود قليلاً قليلاً الى طريق الحق في النبذ. فلا يكفّر عالم الّا ان يقاتل المسلمين او يكون عوناً على ذلك, فمن قال "اق" فقد اشترك في قتل الناس ولو لم يكن من الشارعين بالأمر, وان اجتمعت قريةٌ-كما قال عمر رضي الله عنه- على قتل نفس بغير حق لكان قتلها واجباً على ولي الامر, وان لم يفعل حتى بحجة توبتهم او رجوعهم الى الحق كان معهم في الدنيا محسوباً عليهم ولحشر مع القتلة وسافكي الدم في الآخرة. ومن ثم لا ينبذ عالم معلوم انه من اهل الحق بشهادة اهل العلم, فإن شهد له ثلاثة كان في مأمن من السجن والقتل والنبذ, وان العدد ثلاثة لهو ممّا قد استنّ به النبي صلى الله عليه وسلّم في احاديثه الشريفة كالعطاس ثلاثاً مثلاً فهو دلالة على الزكام, والشرب للماء ثلاثاً يروي صاحبه, وكذلك الوضوء وغيره من أمور الشرع والدين. وانّ رأي العالم قد لا يكون راجحاً في الجرح والتعديل لذلك يؤخذ رأي ثلاثةٍ من اهل العلم المتمكنين من اختصاصاتهم والعلم الشرعي ووجب الشهادة لهم ايضاً ان أرادوا التبرئة او التشييد بعالم او الاطراء عليه, حتى نصل الى الأول الذي يقول في طهر او زيغ ذاك العالم وهو ولي الامر من

العلماء وليس من ولاة أمور الامارة, وعندها يرجع الامر الى الأمير العلميّ ولا يجوز اعتراض امره او المساومة فيما قال ويقاس ذلك بعلمه والله اعلم, وقيل في زمننا ان اعلم اهل الأرض هو الشيخ محمد بن الحسن بن الددو الشنقيطي, وهو متمكنٌ من كثيرٍ من العلوم ويحفظ الالفيات والمنظومات الكثيرة في العلوم شتّى فضلاً عن الادب والأخلاق والتربية والسلوك, ولكن قد يأتي احدهم فيقول انه ليس بامير المؤمنين في الحديث او بعلمٍ من العلوم, فهذا يردّ رأيه لاجتماع الناس على امير المؤمنين في العلم الشرعي, ولا يجتمع على رأي التزكية ولو بأن يكون تابعاً وليس في رأس على رأس المزكون فهذا علم ودين ووجب ان نعلم عمّن نأخذ ديننا كما قيل. فيعرض العالم ان اردنا تزكيته على الكتاب والسنّة ومن ثمّ يؤخذ برأي اهل التخصص وبعدها يكون القرار في تحييد ذاك الرجل من الإفتاء او القرار العلمي ويبدأ بنبذه على مستوى الأشخاص ومن ثمّ على مستوى الامّة جمعاء, ولكن لا يقال فلان بن فلان حتى لو كان في امرٍ علميّ, فلا يجوز ذلك –وهو التكذيب الحلال- إلّا في علم الرجال او علم الحديث وفي الجرح والتعديل فهذا ما هو واجبٌ اشاعته ونشره في حكم العلماء اولاً على شخص ومن ثم بالنبذ على المستوى الشخصي ومن ثم بقول :ما بال قوم يفعلون كذا وكذا, وبعدها يستبين من له الحق بقول رأيه

ولا يشهّر فهذا لا يجوز وانما يحمله على جماعته, وإن كان على رأس الجماعة شخصٌ وقد سمّوا باسمه, فلا يقال جماعة فلان وانما يقول ما فعلوا وما هو وصفهم استناداً الى الكتاب والسنّة ومن ثم قول العلماء بالقياس اذا ما كان قد حدث حدثٌ قبلها في القرون الثلاث او الأربع الأول ومن ثم بالاجماع عند العلماء ويكون اسمه محفوظاً ان كانله سجل والّا ففيما بين المشايخ والعلماء. امّا ان كان في امرٍ مكفّرٍ او مخرجاً من الملّة كالزندقة وادعاء النبوة او امراً يجب قول اسمه فيه فمن الاثم عدم القول والبوح باسمه, وهذا ينحصر في الادعاء الكاذب والكذب على الله ورسوله بعمد ودون الاجتهاد ان كان اهلاً, وما دون ذلك فجدالٌ يفرّق الامّة, وكما قيل انك اذا اردت ان تجعل بين فرقةٍ فجوة او ابتعاد وتفريقاً لهم فاجعل الجدال فيما بينهم والعياذ بالله. وهذه آفة اهل السنة والجماعة, فقد اجتهد اهل الزيغ والضلال والاهواء على دسّ دسائس وادعاءات في كثير من الفرق السنّيّة من اهل السنة والجماعة ممّا ادّى الى التفرقة فيما بيننا ووجب علينا الآن قبل أي وقت وحتى لا يمنّينا الشيطان ولا ان يلقي في نفوسنا شيئاً من زيغه ومكره ان نرجع الى الله ومن ثم الى القرون الثلاثة الأول ومن ثم اجماع العلماء بعد قياسهم, خاصةً في أمور التكفير, وقد حدث معنا حادثٌ ان استهزئ بنا احدهم-هداه الله- عند تصنيفنا في

الكفر وأهله , وما تفكّر او فكّر للحظة ان يفتح الكتيّب وان ينظر فيه وقال مادحاً في الغزالي وقد شبّهنا بضد ما كان عليه من العلم, فقال اننا قد افترينا بكتابنا ذاك وما عرف بعدم فتحه للكتاب اننا قد ذهبنا الى المكفّر من صفات اهل الكتاب وليس اهل السنة والجماعة, فظنّ وما افاد وما اجاد وكان ان رفض جميع المصنّفات واخذ يمدح بالغزالي رحمنا الله والشيخ الغزال واياه وفرقته التي قال فيها النبي انه في آخر الزمان تكون فرقة ضالة مضلّة تجلس الحلق ودينها وهواها الدنيا, فما ظنّ في نفسه وفرقته ذاك وانما اخذ يحدّث عن العلماء ويمدح بهم ظانّاً بنفسه الخير مشبهاً لهم به دون مباشرة القول, ونابذاً لنا دون البتّ والقراءة ولو الشيء القليل المبيّن لما في الكتاب من مادّة, ونحن لم نكتب في كفر الامة وانما في كفر اهل الكتاب-من كفر منهم وليس جميعهم- وهذا قول الغزالي الذي اثنى عليه صاحبنا, فسبحان الله, وما كتبنا في ذاك الموضوع الّا بعد تبحّرٍ لستة عشر عاماً في كتب السالفين وكتاب ربّنا وسنّة النبي صلى الله عليه وسلّم ومع الاستراحات, فنسأل الله لنا ولهم العفو والعافية. والله تعالى اعلم.

خلاصة النبذ والأخذ والعطاء

امّا في النبذ, فينبذ كل مجمعٍ على خطئه ولو كان عالماً, فكما اسلفنا ان كان غير متمكن اجمع من قبل العلماء- على الأقل ثلاثة منهم- على ذلك حتى نصل الى الرأس وهو امير المؤمنين في العلم وهو الشيخ الددو الشنقيطي محمد بن الحسن-هذا ما نحن عليه- ويمكن ان ينبذ ولو مؤقتاً كل مخالف لما أجمعت عليه الامّة حتى يرجع, وينبذ كل متجرّئ على العلماء ولو كان ولي للأمر, فعندها يناصح بالمراسلة دون الدخول الى بلاطه فهذا كما اسلفنا فيه مخاجلة ,فيكرمه الوالي بالغصب فلا تؤخذ فتواه لأن في ذلك نستطيع القول الشراء لعدالة وثقة العالم والله اعلم. وقد جلس مع أولياء الأمور أيام صلاحهم في الجزيرة من قبل العلماء وكانت هناك توثيقات لذلك, ولكن هؤلاء العلماء لم يقدح في عدالتهم لعدم اخذهم شيئاً من المكرمات والخيرات من أولئك السلاطين فلم يقدح في قولهم, وكانوا يفتون الناس بالعدل والانصاف ودون القدح لا بالعالم ولا بالامير, في أيامٍ كان فيها العدل قائماً ويمكن للعلماء زيارة ولي الامر في ديوانه, امّا في أيامنا فلا تجوز زيارتهم فضلاً عن ارضائهم, ويدعى لولي

الامر دون الدخول في بلاطه ويراسل في رسالات مباشرة وغير مباشرة مع ذكر اسمه ولأي دولة يتبع, وقد كان هناك من الاحداث الجسام أيام الشيخ أسامة بن لادن الجزريّ فقد ارسل الى العلماء في الجزيرة رأيه وما يعتقده هو ومن معه من العلماء وانّ الجهاد واجب –ما الى ذلك من اختلافه معهم- فقال –وهذا بتوثيق عن الشيخ أسامة- العلماء الذين قد راسلهم الشيخ بأنهم لا يفتون ولا يستطيعون الفتوى إلّا بما يسمح به المقام العالي ,ويقصدون بالمقام العالي ولاة الأمور في الجزيرة, وهذا كان فرقاً لقول الرأي بغض النظر عن الصحة فيه او القدح ولكن الشيخ أسامة كان يستطيع القول والفتوى كيفما شاء وله اتباعه وجنوده وقد كان اميراً على اهل الجهاد والأمة المجاهدة رغم اخطائه واخطاء من معه من اهل العلم, ولكن الخلاصة هنا انه استطاع الفتوى بما يراه دون مخاجلة, امّا من عاشوا في كنف ولاة الأمور فكانوا ينتظرون الاذن في الفتوى, فنقول في ذلك: وجب مناصحة ولي الامر ولا يجوز الخروج عليه ففي ذلك مفسدة وقد يتكالب ذاك الأمير على اهل السنّة ويطغى عليهم فيقتلهم ويستبيح أموالهم واعراضهم ودمائهم بتلك الحجّة, فإن اجمع اهل العلم على ولي من أولياء الأمور بالمناصحة له مراسلةً وجب ذلك من كل ذي علمٍ او شأن في الفتوى وتعليم الناس, وإن خرج احدهم يستتاب والله

اعلم, فإن قتل الأمير المسلمين خرج من ارضه ولا يقاتل, فالارض لله يورثها من يشاء من عباده, وارض الله واسعة فتجب عبادته فيها في أي بقعة كانت ولو لم تكن بلادنا وبلاد المظلومين, وانّ النبي قد احب مكة وكره الخروج منها ولولا اخراج اهله له منها لما خرج كما قال عليه الصلاة والسلام. وقد صنّف شيوخ الجهاد كسيف العدل وغيرهم, ممّن تخصصوا في الاقتصاد وعلوم الدنيا فضلاً عن علوم الآخرة عن الثورات وما تجلبهم وكيفيتها واسبابها ولكن لسنا بصدد الدخول في هذا الموضوع لأنه غير مجدٍ, وفي آخر الزمان يكون هناك حلف مع الروم ومن تبعهم ضد الدجال واعوانه ومن حضنه من الشيعة والنصيرية وغيرهم من الضلّال فكان واجب جهادهم في زماننا حتى لا يعانوا على نشر الكفر البواح وعدم تركهم يساندون الدجال على ما يريد وما يرمي له فهذا من الاعانة على الكفر ولو كان الظاهر انهم من انصار قضية المسلمين الأولى وهي قضية فلسطين, وبعد السابع من أكتوبر قد تحقق وتأكّد كون الدجال واعوانه حتى لو كانوا من اهل السنّة انهم يغيّبون الناس بوسائلهم المختلفة واسلحتهم حتى يعموننا عن القضية الأولى الا وهي دين الله وشرعته وما كان عليه النبي واصحابه حتى القرن الثالث او الرابع فيما تلاه وجاء بعده صلى الله عليه وسلّم.

امّا في الأخذ فلا يؤخذ من فاسق ولو توسّم سنة النبي ظاهراً ,ولكن ينظر الى ظاهره اولاً فإن كان كسمت النبي أخذ منه وبعدها ينظر في علمه فإن كان على السنة ووافقها كان به وإلّا لرمي به وبعلمه عرض الحائط , وفي الأخطاء الفردية او القليلة يبيّن صلاح العالم ويناظر حتى يرجع. وفي الاخذ يؤخذ شيوخ مربين ومعلمين – اكثر من شيخ وان وصلوا لثلاثة فهذا افضل لتأكيد النجاعة والصحة في اخذ العلم منهم وتأكيد كونه غير ضال فلا تجتمع امة النبي على ضلالة وقد جعل النبي الجماعة ثلاثةً فما فوق فإن اجتمعوا امّروا احدهم, وكذلك في العلم فيؤخذ من اثنين او ثلاثة او اكثر ان وجد وهذا حتى لا يكون الشيطان معهم فالشيطان مع الواحد ومع الاثنين وهما شيطانان وهو كذلك والله مع الجماعة وكما قلنا لا تجتمع الامّة على ضلالة وانت الجماعة ولو كنت وحدك في حال عدم وجود من تأخذ عنهم ولكن هنا لا يعطي الواحد الّا بعرض تصنيفاته على العلماء واقلّه اثنان او ثلاثة- حتى لا يضل ويثبت على الحق لقول الله تعالى في صبر النفس مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه, كما ان الله قد اكمل الآية بعدم إرادة الدنيا بتركهم, وفي الصلاة يكون بالكبر او بالحياء, ولكن بطلب العلم في حجة لتارك العلماء ولو كان اعلم منهم والله اعلم, وعندها يكون الاخذ من المسجلات مع

مراجعة الشيخ في حالة عدم الاجتماع معهم في حالة اضطرارية او جاعلة له غير قادر على تلك المهمّة السامية, وفي المعلوم من الدين بالضرورة يكون الاخذ من المسجلات واجباً في حالة عدم الاجتماع.

وفي العطاء فيعطي كل من عرف آية في اقلّه لقول النبي التبليغ عنه ولو آية, وهنا يكون العطاء العام والعطاء الخاص, فالعامّ للعوام بقول كل ما عرفوا من الحقّ والخاص لأهل التخصّص من العلماء. والله تعالى اعلم.